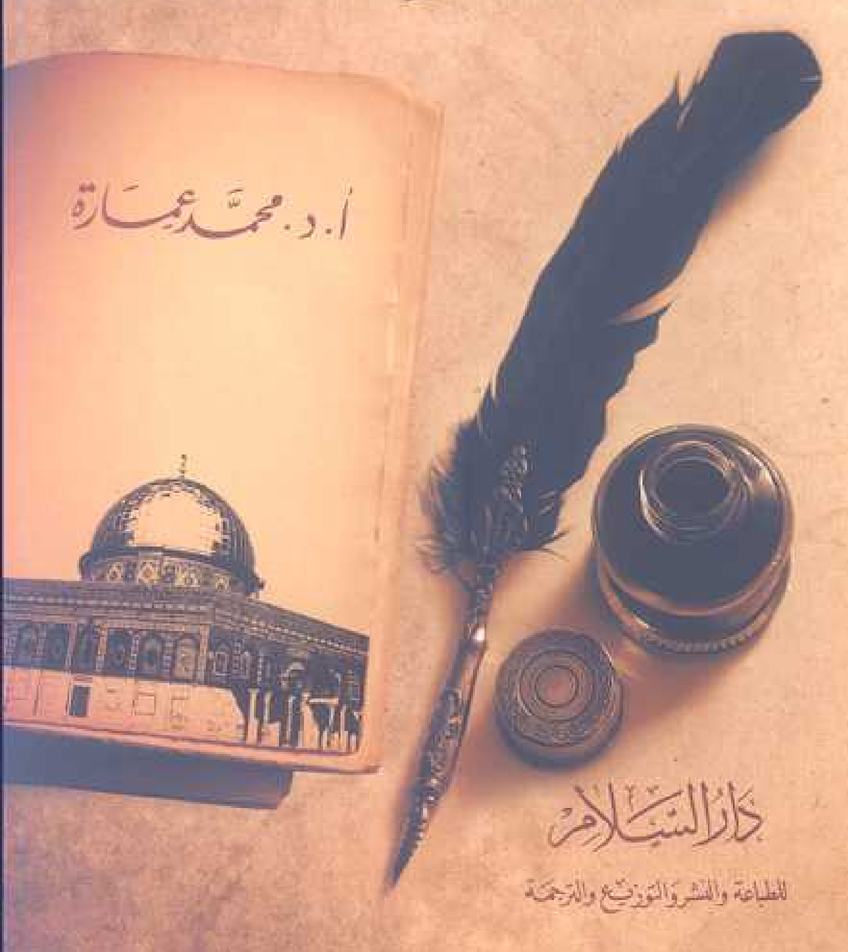
رسائل الإصلاح (٧)

القدس الشريف

في الدين.. والتاريخ.. والأساطير



دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

رسائل الإصلاح (٧)



في الدين.. والتاريخ.. والأساطير

تأليف

أ. د. محمد عمارة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

* * *
* *
*



(١)
القدس في التاريخ

في التاريخ العربي لمدينة القدس، هناك حقائق تاريخية صلبة وعنيدة، تحتاج – ونحتاج – إلى أن نعيها، وإلى أن يعيها الآخرون:

○ فعروبة القدس تضرب في أعماق التاريخ ستين قرنًا – أي ستة آلاف عام –.. فلقد بناها العرب اليبوسيون – وهم من بطون العرب الأوائل الذين نزحوا من الجزيرة العربية،.. بنوها في الألف الرابع قبل الميلاد، وسموها باسمهم – « يبوس » –..

ولقد شهد هذا الاسم الأول لهذه المدينة – التي تعددت أسماؤها بتوالي القرون – على أصالتها العربية.. وعلى أن عمرها العربي وعمر عروبتها إنما يعود إلى أربعة آلاف عام قبل الميلاد – أي (٤٠) قرنًا –.. فإذا أضيف إلى هذا العمر القديم الألفا عام اللذان مرَّا بعد الميلاد، كان عمر عروبتها اليوم قد تجاوز ستين قرنًا..

○ وإذا كانت أرض كنعان – أي أرض الفلسطينيين – والكنعانيون هم عرب كذلك – هي التي رحل إليها وتغرَّب فيها أبو الأنبياء الخليل إبراهيم عليه السلام. وبهذه الأسماء سميت هذه الأرض في أسفار (العهد القديم) – إبان رحلة

أبي الأنبياء إليها وتغرّبه فيها -.. فإن تاريخ وجود أبي الأنبياء، وتاريخ رحلته إلى أرض كنعان - أرض الفلسطينيين - هو القرن التاسع عشر قبل الميلاد..، أي أن عروبة القدس سابقة في التاريخ على عصر أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بواحد وعشرين قرنًا.

○ وإذا كان المتدينون بالديانات السماوية الثلاث - اليهودية.. والنصرانية.. والإسلام - يؤمنون بقداسة القدس.. وبأن اللّـه ﷻ قد بارك فيها وحولها.. فإن هذه المباركة الإلهية لم تبدأ بعصر أبي الأنبياء ورحلته إلى أرض كنعان - أرض الفلسطينيين.. وإنما - هذه المباركة - سابقة على ذلك التاريخ.. ولعل اللّـه ﷻ قد شاء أن ينجيه - هو ولوطًا - عليهما السلام - إلى هذه الأرض؛ لأنه - سبحانه - قد سبق وبارك فيها: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١]. فهي أرض مباركة قبل لجوء أبي الأنبياء إليها، وتغرّبه فيها.. وهذه المباركة الإلهية لهذه الأرض قد جعلها اللّـه للعالمين.. وليس لفريق دون فريق.. فهي مباركة لدى كل الذين يؤمنون باللّـه.. ولدى كل الذين يؤمنون بالنبوات التي انحدرت من نسل إبراهيم، وينتسبون إلى ملته عليه السلام.

○ وإذا كان كليم اللّـه موسى عليه السلام هو الذي بدأت به اليهودية، ونزلت عليه التوراة بشريعتها - إذ اليهودية هي شريعة موسى - فإن موسى - كما يشهد التاريخ ويعرف

التاريخ ويعرف الجميع - قد ظهر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي أن بناء العرب اليبوسيين لمدينة القدس - « يبوس » - قد سبق ظهور موسى وظهور اليهودية بسبعة وعشرين قرنًا - أي بما يقرب من ثلاثة آلاف عام -.

○ وإذا كان موسى - رسول اليهودية - كما يشهد التاريخ ويعرف الجميع - قد ولد بمصر.. وفيها نشأ.. وتعلّم.. حتى لقد كان ضابطًا في جيشها.. وفي مصر بُعث، ونزلت عليه التوراة.. ثم مات ودفن في ثراها.. حتى إن توراته قد نزلت باللغة الهيروغليفية - لغته ولغة قومه ولغة فرعون الذي أُرسل إليه موسى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤] - ويومئذ لم تكن اللغة العبرية - في القرن الثالث عشر قبل الميلاد - قد وجدت بعد.. إذ العبرية - في الأصل - لهجة من اللهجات الكنعانية، تطورت وأصبحت لغةً بعد غزو بني إسرائيل لأرض كنعان - بقيادة « يشوع ابن نون » (١٢٥٠ - ١٢٠٠ ق.م)، واستعمارهم أجزاء من هذه الأرض العربية - استعمارًا استيطانيًا - بعد إبادة سكان تلك الأجزاء التي استعمروها..[١].

○ ولقد شهدت أسفار (العهد القديم) - التي يقدسها بنو إسرائيل - على طبيعة هذا الغزو وهذا الوجود الذي

---

(١) د. فؤاد حسنين علي (التوراة الهيروغليفية)، طبعة دار الكاتب العربي - القاهرة.

أقاموه في أرض كنعان بعد وفاة موسى عليه السلام.. شهدت أسفار العهد القديم على ذلك، فقالت - ضمن ما قالت -:

« .. وكلّم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلًا: كلّم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردنَّ إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم... تملكون الأرض وتسكنون فيها...، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكًا في أعينكم ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم في الأرض التي أنتم ساكنون فيها »[١].

« سبع شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك، وضربتهم، فإنك تحرِّمهم - (تبيدهم) - لا تقطع لهم عهدًا، ولا تُشفق عليهم، ولا تصاهرهم.. لأنك أنت شعب مقدَّس للرب إلهك... تكون له شعبًا أخصَّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.. مباركًا تكون فوق جميع الشعوب.. وتأكلَ كلَّ الشعوبِ الذين الربُّ إلهُك يَدْفعُ إليك.. لا تُشفِق عيناكَ عليهم »[٢]..

هكذا تحدثت أسفار (العهد القديم) عن كيفية دخول بني إسرائيل إلى أرض كنعان، وإقامتهم أقدم استعمار استيطاني في التاريخ المكتوب.. ونسبت ذلك لأوامر

---

(١) سفر العدد: (٣٣: ٥٠-٥٣، ٥٥، ٥٦).

(٢) سفر التثنية: (٧: ١-٣، ٦، ٧، ١٤-١٦).

الرب الذي له: « سخط على كل الأمم، وحموّ على جيشهم، قد حرّمهم - (أبادهم) - ودفعهم إلى الذبح، فقتلاهم تُطرح، وجِيَفُهُم تصعد نتانتها، وتسيل الجبال بدمائهم، ويغنّي كل جند السموات.. للرب سيف قد امتلأ دمًا.. »[1].

لقد صنعوا بالكنعانيين « الإبادة المقدسة » التي حاكاها الآباء البروتستانت المؤسسون لأمريكا مع الهنود الحمر.. والتي يعيد الصهاينة صنعها مع الفلسطينيين في واقعنا المعاصر والمعيش!

○ أما عن الوجود اليهودي في مدينة القدس - في ذلك التاريخ - فإنه لم يتعد (٤١٥ عامًا) - في القرن العاشر قبل الميلاد - على عهد داود وسليمان - عليهما السلام -.

أي أن هذا الوجود اليهودي الطارئ والمؤقت - في القدس - إنما حدث بعد ثلاثة آلاف عام - أي ثلاثين قرنا - من عروبة مدينة القدس.

كما أن هذه اللحظة الطارئة، التي كان للعبرانيين فيها « دولة » في القدس، هي نصف عمر الوجود للدولة العربية الإسلامية في الأندلس - الذي دام ثمانية قرون (٩٢ - ٨٩٧هـ/ ٧١١ - ١٤٩٢م) - كما أن هذه اللحظة لا تقاس بألوان الوجود الذي طرأ - بالغزو - على كثير من البلاد - ومنها القدس -.

---

(١) سفر إشعيا: (٣٤: ١ - ٦).

- فلقد خضعت القدس - ضمن أرض كنعان والحيثيين - لسلطان الفراعنة - على عهد الملك رمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٣ق.م).

- وخضعت القدس لبابل - بل وتم تخريبها، وسبي يهودها على يد الملك البابلي « نبوخذ نصر » - أو « نبوكد نصر » - (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) - في (٥٨٦ ق.م).

- وخضعت القدس للحكم الإغريقي/ الروماني/ البيزنطي - على امتداد عشرة قرون - من الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ق.م) - في القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) - في القرن السابع للميلاد -.

وإبان العهد الروماني دمر الإمبراطور « إيليوس هارديانوس » القدس سنة (١٣٥م)، وغير اسمها إلى « إيليا كابيتولينا ».. كما دمر الرومان الهيكل اليهودي - على عهد « تيتوس » - (سنة ٧٠م).

○ولقد كان طبيعيًا - عبر هذا التاريخ الطويل للقدس العربية - أن تتوالى على أهلها عقائد وديانات، وأن تقوم على أرضها معابد؛ للوثنية حينًا.. وللتوحيد حينًا آخر، ولقد حدث ذلك في أغلب بلاد الدنيا.. فمصر - مثلًا - عاشت التوحيد الذي بشر به نبي اللّه إدريس عليه السلام منذ فجر التاريخ - إذ أدرك إدريس عصر آدم عليه السلام - وهو ثالث الأنبياء - بعد آدم وشيث - عليهم السلام - ثم شهدت مصر

فترات من الانحراف عن التوحيد إلى الوثنية، ثم جاءها « قمبيز » (٥٢٩ - ٥٢٢ ق.م) الفارسي غازيًا، وأقام بها معابد لديانة الفرس.. ثم جاءها الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) فقامت بها معابد للوثنية الإغريقية والرومانية، استمرت بقاياها - في ظل النصرانية - حتى دخلت مصر في التوحيد الإسلامي من جديد.

ومثل ذلك حدث - وطرأ - على كثير من بلاد الدنيا التي غيرت دياناتها، وبدلت آلهتها، ومعابدها، ولغاتها.. ولم يقل عاقل بتغيير خرائط الواقع المعيش، ذي الجذور التاريخية التي تضرب في أعماق التاريخ المكتوب.. ليحل التاريخ القديم محل هذا الواقع المعاصر والمعيش.. لم يقل أحد بضرورة استعادة لحظة طارئة من لحظات التاريخ القديم.. وإلا فأي لحظة من تلك اللحظات نعيد؟!

ولو جاز ذلك، لجاز للفرس أو للرومان أن تكون لهم حقوق تُستعاد بمصر.. ولجاز أن تقوم لمصر حقوق في البلاد التي عاش فيها الفراعنة، وأقاموا بها المعابد والدول.. ولجاز للحبشة أن تعود إلى اليمن، وقد حكمتها حينًا، وأقامت الكنائس على أراضيها!.. ولجاز للرومان أن يعودوا إلى الجزائر، التي أقام أجدادهم فيها ثلاثة قرون!.. وإذن لحدثت فوضى رهيبة وعبثية في « خرائط » الواقع الذي نعيش فيه!

○ وعبر هذا التاريخ العريق لمدينة القدس تغيرت

أسماؤها عدة مرات.. فالعرب اليبوسيون - الذين بنوها في الألف الرابعة قبل الميلاد - قد سموها « يبوس ».. ثم تغير اسمها إلى « يورد سالم » أو « يورو سالم » - أي « مدينة السلام » -.. ثم أطلق عليها الرومان - على عهد الإمبراطور « إيليوس هاردیانوس » (١٣٥م) اسم « إيليا كابيتولينا » -« إيليا الكبرى » -.. ثم أعاد إليها الإمبراطور الروماني « قسطنطين » (٢٨٨ - ٣٣٧م) - الذي اعتنق النصرانية - اسمها القديم « أورسليم »، وإن ظلت مشتهرةً - رومانيًا - باسم « إيليا الكبرى »، حتى جاء الفتح الإسلامي سنة (١٥هـ/ ٦٣٦م) الذي حررها من الاستعمار الروماني، وأطلق عليها اسم « القدس الشريف »، و« الحرم القدسي الشريف » إعلانًا عن قداستها، وعن مباركة اللّٰه لها منذ تاريخها القديم.. وإيذانًا بإشاعة قداستها لدى جميع أصحاب المقدسات التي ارتبطت بالديانات السماوية الثلاث...

○ وعبر تاريخ القدس السابق على الفتح والتحرير الإسلامي لها، كان احتكارها من قِبَل الغزاة، ومن قِبَل أصحاب الديانات الذين لا يعترفون بالآخر - هو السمة الملحوظة في ذلك التاريخ.

- ففي تاريخها العبراني القديم - الذي لم يدم سوى (٤١٥ عامًا) في القرن العاشر قبل الميلاد - على عهد داود وسليمان - عليهما السلام - احتكرها العبرانيون.

- وإبان الغزو البابلي لها تم احتكارها للغزاة البابليين، الذين دمروا الهيكل اليهودي، بل وفرّغوها من اليهود بالسبي البابلي الشهير (٥٩٧ - ٥٣٨ ق.م).

- وفي العهد الإغريقي/ الروماني/ البيزنطي - الذي استمر عشرة قرون - تم احتكارها من قبل الرومان، سواء في عهد وثنيتهم - الذي مارسوا فيه اضطهاد النصرانية - أو في عهد نصرانيتهم - الذي اتخذوا فيه مذهبًا خاصًا هو المذهب « الملكاني »، فاستمر اضطهادهم للمذاهب النصرانية الشرقية.. وكذلك تم في هذا العهد الروماني الاضطهاد لليهود، حتى لقد كانوا ممنوعين من سكنى القدس عندما فتحها المسلمون سنة (١٥هـ/ ٦٣٦م).

○ ثم تكرر هذا الاحتكار للقدس في ظل الغزوة الصليبية الغربية، عندما احتلوها نحوًا من تسعين عامًا (٤٩٢ - ٥٨٣هـ/ ١٠٩٩ - ١١٨٧م) أبادوا فيها الوجود الإسلامي واليهودي من القدس، ودمروا فيها المقدسات غير الكاثوليكية، حتى لقد حولوا المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة - مسجد عمر - إلى كنيس لاتيني ومخزن سلاح واصطبل للخيول!

○ وفي القرن العشرين.. وبعد قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين سنة (١٩٤٨م) تم الاحتكار اليهودي للجزء الغربي من مدينة القدس.. فلما حدثت

حرب سنة (١٩٧٦م) امتد الاحتلال الصهيوني إلى الجزء الشرقي من المدينة المقدسة، وتسارعت وتيرة التهويد والاحتكار اليهودي لها..

لقد تم احتلالها في (٧ يونيو ١٩٦٧م).. وفي (٢٦) من ذات الشهر طبق الصهاينة عليها القوانين ونظم الإدارة والقضاء الصهيونية.. وفي (٣٠ يوليو ١٩٨٠م) قرر الكنيست الصهيوني اعتبار كامل القدس عاصمة أبدية لإسرائيل.. وتسارعت وتيرة تهويدها.. أسماء الشوارع والميادين.. والسكان.. والمباني.. والقوانين.. والتعليم.. وحتى القضاء الشرعي الإسلامي! وعلقت - منذ سنة (١٩٧٦م) - على أبوابها «تميمة الباب» اليهودية - (ميزوزاه) - باعتبارها «بيت اليهود» وحدهم من دون الآخرين!.. وتم كل هذا التهويد والاحتكار رغم القوانين الدولية التي تمنع أي تغيير لطبيعة الأماكن المحتلة رهوياتها.

لقد احتكرها كل الغزاة.. وحدهم المسلمون هم الذين أشاعوا قداستها بين كل أصحاب المقدسات.

* * *
* *
*

(٢)



القدس
في الديانات السماوية

لقد شاء اللّه ﷻ لمكة المكرمة أن تكون حرمًا آمنًا لأول بيت وضع للناس في الأرض، وعُبد اللّه فيه - المسجد الحرام -.. وشاء - سبحانه - كذلك للقدس أن تكون مباركة منذ تاريخها القديم، وأن تكون قبلةً للنبوات السابقة على النبوة الخاتمة؛ نبوة رسول الإسلام - عليه الصلاة والسلام - .

ولهذه الحقيقة - التي غدت عقيدةً دينيةً - تعلقت قلوب المؤمنين بالديانات السماوية الثلاث بهذه المدينة المقدسة - القدس الشريف -..

○ ففي اليهودية - إذا استثنينا السامريين الذين يجعلون مدينة « نابلس » - وليس القدس - مدينتهم المقدسة - نجد جمهور اليهود يضفون القداسة على القدس.. فهي التي نقل الملك داود إليها تابوت العهد.. وفيها بنى الملك سليمان الهيكل.. وإليها يصلون.. ويحجون.. وهي التي ينتظرون أن يظهر فيها « المسيا » - ملك اليهود ومخلصهم المنتظر - .. ولهذا السبب الأخير تحرّم اليهودية الحاخامية العودةَ للقدس وفلسطين إلا في أواخر الزمان، عندما يظهر « المسيا » المنتظر.

○ والقدس في المسيحية، بها كنيسة القيامة - قيامة المسيح من القبر - .. ومجموعة الكنائس المقامة على جوانب طريق الآلام.. وإذا كان المسيح عليه السلام قد ولد في «بيت لحم» - على مقربة من القدس - فلقد عاش بالمدينة المقدسة، وفيها وفيما حولها ولدت المسيحية.. ونزلت البشارة - الإنجيل - وناظر المسيح وجادل الكتبة والفريسيين.. ففي هذه البقاع ولدت المسيحية.. ولذلك فإن القدس هي قبلة المسيحيين في صلاتهم.. ومقصدهم في حجهم.. وإليها تهفو قلوبهم.

○ وفي الإسلام، تحتل القدس مكانة الحرم المقدس والشريف:

- فالرباط بينها - كحرم - وبين الحرم المكي عقيدة دينية إسلامية، تجسد عقيدة وحدة الدين الإلهي الواحد، والرباط المقدس بين قبلة أمة الإسلام - أمة الرسالة الخاتمة - وبين قبلة النبوات السابقة - المسجد الأقصى - أي الحرم القدسي: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

- وهي القبلة الأولى للمسلمين التي توجهوا إليها في صلواتهم طوال العهد المكي - ثلاثة عشر عامًا - وثمانية عشر شهرًا بعد هجرتهم إلى المدينة المنورة - أي أغلب أعوام البعثة المحمدية -.. بل لعل جعل القدس قبلة

للمسلمين أولًا، ثم تحولهم إلى المسجد الحرام، وجمعهم بين هاتين القبلتين قد كان تحقيقًا وتجسيدًا لهذه الحكمة: الربط بين قبلة النبوات السابقة، وبين قبلة الأمة والرسالة الخاتمة - التي هي أول بيت وضع للناس في الأرض - تجسيدًا لوحدة الدين منذ فجر النبوات والرسالات، وحتى ختام وختم هذه النبوات والرسالات..

- والحرم القدسي - المسجد الأقصى - هو أحد المساجد الثلاثة التي تتفرد - في الإسلام - بشد الرحال للصلاة فيها.. وفي الحديث النبوي المتفق عليه يقول الرسول ﷺ: « **لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا** »[1].

- وإذا كان الإسلام - رسالة الله الخاتمة - هو الإحياء لملة أبي الأنبياء - إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [آل عمران: ٩٥]. ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [الأنعام: ١٦١]. فإن رسالته الخاتمة ورسوله الخاتم هو الاستجابة لدعاء أبي الأنبياء: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

(١) رواه البخاري ومسلم.

رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

- ولقد جاءت مناسك حج الأمة الخاتمة إحياءً لمناسك ملة إبراهيم، التي أقامها - هو وزوجه هاجر - في رحلته الحجازية أيضًا لترمز لوحدة الدين.. التي هي عقيدة إسلامية.. فلقد أسكن ابنه البكر إسماعيل أرض الحرم المكي - في رحلته الحجازية - كما أسكن ابنه إسحاق الأرض المقدسة - في رحلته التي تغرّب فيها بأرض كنعان، جامعًا في ذريته بين الحرمين القدسيين والمقدسين.. وفي الحرم المكي أقام أبو الأنبياء آيةً من الآيات الخالدة إلى أن يرث اللـه الأرض ومن عليها: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

- وإذا كان القرآن الكريم هو معجزة النبوة الخاتمة، التي وقع بها التحدي، وثبت بها صدق الرسول الخاتم ﷺ.. وإذا كان الإسلام يقر بوقوع معجزات مادية لرسول الإسلام.. فلحكمة بالغة لم يذكر القرآن الكريم من هذه المعجزات المادية سوى معجزتي الإسراء والمعراج، وهما فيهما تجسيد للرباط العقدي بين الحرم المكي الشريف والحرم القدسي الشريف: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]. ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ⑪ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ⑭ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ⑮ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١ - ١٨]..

فبهذه الآيات الكبرى تم الربط - في العقيدة الإسلامية - بين الحرم المكي - المسجد الحرام - أول بيت وضع للناس في الأرض، وعُبد اللّهُ فيه، وقبلة الأمة الخاتمة والخالدة.. وبين الحرم القدسي - المسجد الأقصى - قبلة النبوات التي سبقت نبوة رسول الإسلام - عليه الصلاة والسلام -.. أي أن هذه القداسة التي أضفاها الإسلام على الحرم القدسي الشريف إنما جاءت لتشيع قداسة القدس بين كل أصحاب الديانات والمقدسات، فتجمع بينهم بدلاً من الاحتكار والنفي والإقصاء الذي صنعه ويصنعه الآخرون.

* * *
* *
*

(٣)
التحرير الإسلامي للقدس يُشيع قداستها بين الجميع

ولأن هذه هي المكانة الدينية والإيمانية للقدس الشريف في العقيدة الدينية الإسلامية - كان التميز والامتياز في موقف المسلمين من هذه المدينة المقدسة، والحرم القدسي منذ اللحظة الأولى في تاريخها الإسلامي.. فهي مدينة عربية قديمة، استعمرها الإغريق والرومان والبيزنطيون عشرة قرون، منذ «الإسكندر الأكبر» (٣٥٦-٣٢٣ق.م) - في القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى «هرقل» (٦١٠-٦٤١م) - في القرن السابع للميلاد -.. ولقد احتكرها الرومان لأنفسهم وحدهم - سواء في عصر وثنيتهم أو في عصر نصرانيتهم - ودمروا الوجود الديني اليهودي، فلما حررها المسلمون - ضمن تحريرهم لأوطان الشرق وعقائد شعوبه - أعادوا لها قدسيتها الدينية، وأشاعوا هذه القدسية بين كل أصحاب المقدسات، وذلك انطلاقًا من عقيدة دينية إسلامية يتفرد بها الإسلام والمسلمون، وهي الاعتراف بكل النبوات والرسالات، ومن ثَمَّ تقديس كل المقدسات لدى أتباع كل النبوات والرسالات: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ولقد تجاوزت العقيدة الدينية الإسلامية نطاق الاعتراف بقداسة مقدسات الآخرين إلى جعل حماية هذه المقدسات فريضة على المسلمين؛ إذ جعل القرآن الكريم من مهام «سنة التدافع» والإذن للمسلمين بالقتال ضد الذين ظلموا، الحماية والدفاع عن كل مقدسات الديانات الأخرى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]. فالحماية الإسلامية للمقدسات الدينية لا تقف - فقط - عند المساجد، وإنما تشمل كل مقدسات جميع الديانات السماوية، التي جاء ذكرها حسب الترتيب التاريخي - الصوامع.. والبيع.. والصلوات.. والمساجد -!

ولقد جاء البيان النبوي - السنّة - ليعبر عن هذا البلاغ القرآني، وليقننه تقنينًا دستوريًا، في العهد الذي كتبه الرسول ﷺ (١٠هـ/ ٦٣١م) لنصارى نجران - باليمن - ولكل من يتدين بدين النصرانية - عبر الزمان والمكان - عندما تعهد رسول الإسلام - باسم الدين الإسلامي وباسم الدولة الإسلامية - بهذه الحماية لجميع هذه المقدسات، فقال:

«.. وأن أحمي جانبهم، وأذُبّ عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح حيث

كانوا.. وأن أحرس ملّتهم ودينهم أين كانوا.. بما أحفظ به نفسي وخاصّتي وأهل الإسلام من ملّتي »[1].

وهو أفق لم تعرفه أية ديانة غير دين الإسلام.

ولقد تجسدت هذه العقيدة والفريضة الإسلامية - قداسة القدس، وإشاعة قداستها بين جميع أصحاب المقدسات، وحماية جميع هذه المقدسات - وتجلت في تعامل المسلمين مع هذه المدينة المقدسة منذ اللحظات الأولى لتاريخها الإسلامي، وطوال هذا التاريخ..

○ فَهُم الذين سموها « القدس » و« القدس الشريف » و« الحرم القدسي الشريف »، ليكون الاسم عنوانًا على عقيدة المسلمين في قدسيتها وتقديسها..

○ وهم - وحدهم - الذين عاملوها معاملة الإسلام « للحرم » - الذي يحرم فيه القتال وسفك الدماء -، فكانت مثل مكة المكرمة التي حرص المسلمون على فتحها سنة (٨هـ/ ٦٢٩م) سلمًا رغم تاريخ أهلها - المشركين - الذين عذبوا المسلمين، وفتنوهم في دينهم، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، ومردوا على غزو المدينة المنورة، ومحاولات استئصال المسلمين فيها..

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (ص ١٢٣، ١٢٤) تحقيق: د. محمد حميد الله الحيدر آبادي، طبعة القاهرة (١٩٥٦م).

وكانت القدس - كحرم - مثل الحرم المدني الذي فتحه المسلمون بالقرآن، ودونما أي قتال، حتى لقد عاهدوا وسالموا غير المسلمين فيه - من المشركين ومن اليهود - بل وصابروا - في المدينة - المنافقين الذين مردوا على النفاق، رغم خطورتهم التي تجاوزت أحيانًا خطورة المشركين واليهود!.

كذلك تفرد الموقف الإسلامي إزاء القدس، عندما استجاب الفاتحون المسلمون لمطلب أهلها - بقيادة البطرك « صفرينيوس » (١٧هـ/ ٦٣٨م) - الذي طلب أن يتسلم مفاتيحَ القدس خليفةُ المسلمين - الراشد الثاني عمر ابن الخطاب (٤٠ ق. هـ - ٢٣هـ/ ٥٨٤ - ٦٤٤م) - رغم أن قائد جيوش الفتح الإسلامي بالشام يومئذ كان أمين الأمة الإسلامية أبا عبيدة الجراح (٤٠ق.هـ - ١٨ هـ/ ٥٨٤م - ٦٣٩م)، فسار عمر بن الخطاب ﷺ من المدينة المنورة إلى القدس، ليتسلم مفاتيحها.. وليحقق المسلمون لهذا الحرم القدسي الشريف هذه الفرادة التي لم تحظ بها مدينة من المدن التي فتحها المسلمون!

○ وكما قنن الإسلام ودولته - بالمدينة المنورة - حرمة الحرم المدني.. وعمم هذه الحرمة بين سكانها من مختلف الديانات.. فأقام رعية الدولة على « سنة التعددية الدينية »، ونص في دستورها - الصحيفة.. الكتاب - على أن: « لليهود

دينهم وللمسلمين دينهم.. ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم.. وأن بطانة يهود ومواليهم كأنفسهم.. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر المحصن من أهل هذه الصحيفة دون الإثم. لا يكسب كاسب إلا على نفسه»[1].

كما حقق المسلمون هذا «السلام الديني» وأقاموا هذه السماحة - غير المسبوقة - مع الآخر اليهودي - في الحرم المدني - عندما تجاوزوا الاعتراف بهذا الآخر، إلى حيث الاعتراف بعقائده، والاحترام لهذه العقائد، والحماية لمقدساته، وجعله جزءًا من «الذات» - الرعية الواحدة والأمة الواحدة للدولة الإسلامية -.

كما صنع المسلمون هذا مع الآخر اليهودي - في الحرم المدني - صنعوه - أيضًا - مع الآخر النصراني - في الحرم القدسي - عندما حرروا القدس من القهر والاحتكار الروماني الذي دام عشرة قرون..

فانطلاقًا من عهد رسول اللّـه ﷺ مع نصارى نجران،

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (ص١٧ - ٢١)، تحقيق: د. محمد حميد اللّـه الحيدرآبادي، طبعة القاهرة (١٩٥٦م).

وكل من يتدين بالنصرانية عبر الزمان والمكان سنة (١٠هـ / ٦٣١م) الذي جاء فيه:

« لأني أعطيتهم عهد اللّـه أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم.. وأن أحمي جانبهم، وأذبّ عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح حيث كانوا.. وأن أحرس دينهم وملّتهم أين كانوا.. بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملّتي »[1].

انطلاقًا من هذا العهد النبوي - الدستوري والمقدس - وتعميمًا له، كتب الفاروق عمر بن الخطاب لأهل القدس سنة (١٥هـ / ٦٣٦م) - « العهد العمري »، الذي أمّن فيه أهلها، ليس فقط على أنفسهم وأموالهم، وإنما - أيضًا - على كنائسهم وصلبانهم.. كما أعطاهم الأمان على حرية الاعتقاد بالدين الذي به يدينون.. وجعل القدس حرمًا آمنًا لكل من يقيم بها، حتى ولو كان من المواطنين الرومان.. ولقد جاء في هذا العهد العمري:

« هذا ما أعطى عبد اللّـه عمر - أمير المؤمنين - أهل إيليا من الأمان:

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (ص١٢٣، ١٢٤، ١٢٦)، تحقيق: د. محمد حميد اللّـه الحيدر آبادي، طبعة القاهرة (١٩٥٦م).

أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يُضارّ أحد منهم.

وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن.. ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصُلُبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصُلُبهم حتى يبلغوا مأمنهم.. ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يُؤخذ منهم شيء - (من الجزية) - حتى يحصد حصادهم »[1].

○ وكان أهل القدس قد طلبوا من أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب - جريًا على « سنّة » احتكارها دون الآخرين، وامتدادًا للصراع النصراني اليهودي - أن لا يسكنها أحد من اليهود.. فجاء في العهد العمري: « ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود » - الذين كانوا مطرودين منها في ذلك التاريخ -.. لكن المسلمين - بعد ملابسات الفتح - وانطلاقًا من إيمانهم الديني بكل النبوات والرسالات وجميع الكتب والشرائع، واتساقًا مع عقيدتهم التي تجعل الاختلاف

(١) المصدر السابق. (ص ٣٤٥، ٣٤٦).

في الشرائع الدينية سنَّة من سنن اللَّـه التي لا تبديل لها ولا تحويل: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]. عمموا قداسة القدس، وأشاعوا قدسيتها بين كل أصحاب المقدسات بمن فيهم اليهود، فأعادوا اليهود إلى سكنى القدس، بعد أن كانوا مطرودين منها.. فعاشوا فيها، يعبدون ربهم على قدم المساواة مع المسلمين والنصارى، طوال التاريخ الإسلامي لمدينة القدس الشريف.

○ والمسلمون - انطلاقًا من هذه المكانة المقدسة للقدس في العقيدة الإسلامية - كانوا هم الحريصين على إعادة الطهر والطهارة إلى كل الأماكن التي سبق وعُبد اللَّـه فيها في القدس، وفيما حولها من الأرض التي بارك اللَّـه فيها.. فكان عمر بن الخطاب يسير في ربوع القدس ليفرد رداءه، معه صحابة رسول اللَّـه ﷺ يفعلون مثله - يفردون أرديتهم - ويحملون النفايات التي وضعها الرومان في هذه الأماكن التي سبق وعُبد اللَّـه فيها، كي يعيدوا إليها الطهر والطهارة من جديد.

○ ولأن المسلمين هم الذين يعترفون بكل ألوان الآخر الديني - ويتفردون بذلك - فلقد رأت الطوائف النصرانية المقدسية - المتنافسة على الأماكن النصرانية المقدسة - رأت في المسلمين « الحَكَم - المحايد - والعدل » بين هذه

الطوائف.. فنصّت كثير من «حُجج» أوقاف كنائس القدس على أن يكون نُظّار هذه الأوقاف، والحاملون لمفاتيح الكنائس بها أُسَر مسلمة، يتوارث أبناؤها - جيلاً بعد جيل - نظارة الأوقاف الكنسية وحمل مفاتيح هذه الكنائس.. وذلك تلافيًا للمنافسات والمشاحنات التي اتسمت بها علاقات هذه الطوائف تاريخيًا.. وحتى هذه اللحظات.. كما هو الحال مع «دير السلطان» المتنازع عليه بين أرثوذكس مصر والأرثوذكس الأحباش!

فكان التاريخ الإسلامي هو تاريخ «السلام الديني» لكامل القدس.. وحتى بين الطوائف النصرانية فيها!.

* * *
* *
*

(٤)



الإشكال مع الاحتكار..
وليس مع التقديس

وإذا كان هذا هو عمق التاريخ العربي لمدينة القدس، التي بناها العرب اليبوسيون قبل ستين قرنًا..

وإذا كانت هذه هي المكانة الدينية للقدس في عقائد الديانات السماوية الثلاث..

وإذا كانت هذه المدينة المقدسة قد عرفت الاحتكار، وإقصاء الآخر من قِبل الذين لا يعترفون بالآخر، ولا يحترمون عقائده، ولا يقدسون مقدساته:

- احتكرها اليهود، عندما أقاموا لهم دولةً فيها في القرن العاشر قبل الميلاد..

- واحتكرها البابليون، عندما غزوها، ودمروا الوجود اليهودي فيها..

- واحتكرها الرومان - على عهد وثنيتهم وعلى عهد نصرانيتهم - عندما هدموا هيكل اليهود، وطردوهم من المدينة.. وعندما اضطهدوا النصرانية الشرقية وأهلها.. فإن الإسلام - وحده - هو الذي تفرد بالاعتراف بكل ألوان الآخر الديني، والاحترام لكل عقائد الآخرين، والحماية لكل مقدساتهم.. ولذلك تفرد الإسلام - في القدس -

بإشاعة قدسيتها بين كل أصحاب المقدسات..

فعلى حين لا يعترف اليهود بالنصرانية، ولا بالإسلام.. ولا يعترف النصارى بالإسلام، وهم إن اعترفوا - نظريًا - بشرعية التوراة إلا أنهم ناصبوا اليهود وتراثهم الديني أشد العداء: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣].

على حين أنكر الجميعُ الجميعَ، وظل هذا الإنكار سائدًا فيما قبل ظهور الإسلام، جاء الإسلام متفردًا بالاعتراف بكل ألوان الآخر، وذلك انطلاقًا من القرآن الكريم، الذي أكد كثيرًا على عقيدة: وحدة الدين، مع اختلاف الشرائع في إطار وحدة هذا الدين.. وعلى تكليف الأمة الخاتمة بحماية مقدسات كل أصحاب الشرائع الدينية، بل لقد رتب القرآن هذه المقدسات ترتيبًا تاريخيًا وفق توالي شرائعها، ولم يقدم عليها مساجد الإسلام: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

ومن هنا جعل الإسلام أمته وسلطة هذه الأمة في القدس - منذ تحريرها من الاحتلال والاحتكار الروماني - الضمان لمنع احتكارها، والسبيل لإشاعة قداستها بين جميع أصحاب المقدسات.. فبحكم العقيدة الإسلامية التي نظرت إلى الأنبياء وأمم هؤلاء الأنبياء نظرها إلى «الأسرة الواحدة»، ذات الأب الواحد الجامع لها، والأمهات المتعددة داخل الأسرة الواحدة: «الأنبياء أبناء علّات، دينهم واحد - (أبوهم واحد) - وأمهاتهم شتى»[1].

بحكم هذه العقيدة الإسلامية - التي صادق عليها التاريخ الإسلامي - كانت السلطة الإسلامية في القدس الضمان لمنع احتكارها، والشرط لفتح أبوابها لكل أصحاب المقدسات من كل الديانات..

لذلك، فإن الموقف الإسلامي من القدس لا مشكلة له مع تقديس اليهود لها، وصلاتهم إليها، وجعلها المقصد لحجهم، والمهوى لقلوبهم وأفئدتهم..

ولا مشكلة لهذا الموقف الإسلامي مع تقديس النصارى لهذه المدينة المقدسة، وصلاتهم نحوها، وحجهم إلى مقدساتهم فيها.. فالحقوق الدينية التي يراها هؤلاء وهؤلاء لأنفسهم في هذه المدينة المقدسة ليست موضع اعتراض من الإسلام وأمته..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

فقط، مشكلة الإسلام وأمته مع النزعة الاحتكارية للقدس، والتي تقصي عنها الآخرين..

لقد عاش اليهود والنصارى، عبر التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، وفي ظلال الدولة الإسلامية - دونما مشكلة في التمتع بكامل الحقوق الدينية والمدنية في القدس الشريف، وفيما حولها من الأرض المباركة.. ولم تطرأ مشكلة الاحتكار للقدس - في هذا التاريخ الإسلامي - إلا من مصدرين ونزعتين:

١ - النزعة الصهيونية: التي توسلت بالإمبريالية الغربية وبالمسيحية الصهيونية الغربية لاغتصاب القدس وتهويدها واحتكارها.

٢ - والنزعة الصليبية الكاثوليكية.. ثم النزعة المسيحية الصهيونية البروتستانتية الغربية، التي تحالفت - حديثًا - مع الحركة الصهيونية لاغتصاب القدس وفلسطين، تحقيقًا للمصالح الإمبريالية الغربية، وسعيًا لتحقيق الأساطير المسيحية حول عودة المسيح ليحكم العالم ألف سنة سعيدة، بعد حشر اليهود في فلسطين، وإقامة الهيكل اليهودي على أنقاض مقدسات المسلمين في القدس الشريف!

وإذا كان الانتصار للحق إنما هو رهن بتفنيد « حجج » أهل الباطل.. فإن الحوار مع هاتين النزعتين الاحتكاريتين والإقصائيتين والاستئصاليتين - النزعة الصهيونية.. والنزعة

المسيحية الصهيونية - هو السبيل لتأسيس الحق العربي الإسلامي - والذي هو الضمان لكل الحقوق المشروعة لجميع أصحاب المقدسات في القدس الشريف - تأسيسه على قواعد راسخة من العقل والنقل والمنطق الذي تنفتح أمامه العقول والقلوب..

فجلاء الحق وبيانه هو واجب العلماء.. أما واجب السلطان والأمراء فإنه إقامة هذا الحق في ميدان الممارسة والواقع والتطبيق!

* * *
* *
*

(٥)



التفنيد للأساطير اليهودية والنصرانية

إن الدليل العمدة - وعمدة الأدلة - للصهيونية على امتلاك اليهود وحدهم، ودون غيرهم، للقدس الشريف، وعلى تهويدها واحتكارها، وجعلها « بيت اليهود » وحدهم من دون العالمين، ومن ثمَّ العاصمة الأبدية لدولتهم اليهودية.. إن عمدة الأدلة - والدليل العمدة - الذي يقدمونه هو ما جاء في أسفار (العهد القديم) - وتحديدًا في « سفر التكوين » حول ما أسموه: « وعد اللّـه » لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بامتلاك الأرض المقدسة له ولذريته، الأمر الذي يجعل من مناقشة هذه النصوص الدينية السبيل لتمييز الحق من الباطل، والفصل بين الهدى والضلال.. إذ لا يكفي - ولا يصح - رفض النصوص التي يؤمن بها فريق من الفرقاء دون حوار.. ودون تفنيد.. وإلا ظل هذا الفريق مُتَمَتْرِسًا بهذا الذي يتلوه ويؤمن به، دونما كشفٍ للعَوار الذي يجرد هذه النصوص من المصداقية والعقلانية - أي من سلطان النقل والعقل - والمنطق والاتساق.

* * *

لقد جاء حديث سفر التكوين عن هذا « الوعد الإلهي »

لإبراهيم ونسله، بامتلاك هذه الأرض المقدسة في مواضع خمسة.. هي كالتالي:

١ - « فقال الرب لأبرام - بعد اعتزال لوط له -:

ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا؛ لأن جميع الأرض التي أنت ترى أُعطيها لك ولنسلك إلى الأبد »[1].

٢ - « واجتاز أبرام في الأرض من مكان شكيم إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض. وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحًا للرب الذي ظهر له »[2].

٣ - « وتكلم الرب معه - (أبرام) - فقال: ... لا يُدْعَى بعدُ اسمُك أبرام، بل يكون اسمك إبراهيم... وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكًا أبديًا »[3].

٤ - « في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلًا: لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »[4].

٥ - « والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها »[5].

---

(١) سفر التكوين: (١٣: ١٤، ١٥).

(٢) سفر التكوين: (١٢: ٦، ٧).

(٣) سفر التكوين: (١٧: ٣، ٥، ٨).

(٤) سفر التكوين: (١٥: ١٨).

(٥) سفر التكوين: (٣٥: ١٢).

تلك هي نصوص « عهد اللّـه » لإبراهيم ونسله بالأرض المقدسة - ومنها القدس - كما جاءت في « سفر التكوين » (بالعهد القديم).

ونحن لنا - في تفنيد مصداقية هذا الوعد، الذي هو عمدة أدلة الصهيونية اليهودية على امتلاك القدس والأرض المقدسة، واحتكارها وتهويدها وإقصاء الآخرين عنها - لنا في تفنيد هذا الوعد والعهد.. سبيلان:

الأول: تفنيد مصداقية المصدر الذي وردت به نصوص هذا الوعد - أسفار (العهد القديم) بما فيها سفر التكوين - والشاهد الذي سنقدمه على نفي مصداقية هذا المصدر هم علماء نقد النصوص من اليهود أنفسهم!

ففي كتاب ضم دراسات يهودية، كتبها كوكبة من العلماء اليهود الخبراء والمتخصصين في نقد النصوص.. والتي جمعها وحررها ونشرها عالم يهودي - هو « زالمان شازار »- وعنوان هذا الكتاب: (تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث) - في هذا الكتاب؛ العمدة والحجة، جاء بالنص:

« إن هذه الأسفار المقدسة هي من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، ومؤلفين مختلفين؛ حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن.. فلا ارتباط بينها، سواء في أسلوب اللغة أم في طريقة التأليف.

إن القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب في الصحراء - (سيناء) - وموسى لم يكتب التوراة كلها.. وأقوال التوراة ليست إلا لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأسباط مختلفة.. ففيها ثماني مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، وهي:

١ - لفائف قديمة تعود إلى عهد الصحراء (في سيناء) تم تحريرها من قِبَل أحد أبناء أفرايم - (أي في أرض كنعان) -.

٢ - ولفائف من تعاليم الكهنة، تمت إضافتها إليها حتى عصر يوشع بن صادق.

٣ - ولفائف أعداد الأسباط.

٤ - ولفائف باعترافات الأنبياء.

٥ - ومجموعات من روايات بيت داود.

٦ - وأقوال الأنبياء ومجموعاتهم في بابل.

٧ - وأقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبي.

٨ - وتكملات مختارة من عصر الحشمونيين - (أي القرن الثامن قبل الميلاد) -.

إن سفر التكوين قد أُلف بعد مئات السنين من استيطان اليهود في فلسطين، وبعد أن تحصن الأسباط في إرث استيطانهم بزمن طويل. إن مؤلف السفر لم يكن موجودًا على كل حال قبل عصر إشعيا - (أي حوالي ٧٣٤ - ٦٨٠ ق.م) -.

أمّا بالنسبة لسفري الخروج والعدد فإنهما معالجة لأساطير وأشعار قديمة. وإن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة في التوراة بين أنشودة موسى - الموجودة في سفر الخروج - وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد - هي في مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام وقواعد الكهنة. وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات؛ حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة، ومن الصعب علينا فهمها. وفي الأسفار كانت أقوال موسى قليلة إلى حدٍّ ما، كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخر منسوب إليه»[1].

تلك هي شهادة العلماء الخبراء في نقد النصوص من اليهود - شهادة شهود من أهلها - على أن هذا المصدر الذي ورد فيه «وعد اللّه لإبراهيم» بامتلاك الأرض المقدسة - له ولنسله - ليس كلمة اللّه، ولا وحيه إلى موسى ﷺ، بل إنه لم يكتب في عصر موسى، وإنما هو لفائف مختلفة، لكتّاب مختلفين، من عصور مختلفة تمتد على ما يقرب من ثلاثة آلاف عام بعد عصر موسى.. فهو تجميع لثقافات شفهية، امتدت من عصر موسى إلى عصر تدوينه في القرن الخامس قبل الميلاد - عصر عزرا -.. وسفر التكوين - الذي جاءت

---

(١) زالمان شازار - محرر -، تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، (ص ٩٦، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠)، ترجمة: د. أحمد محمد هويدي، تقديم ومراجعة: د. محمد خليفة حسن، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (٢٠٠٠م).

أمّا بالنسبة لسفري الخروج والعدد فإنهما معالجة لأساطير وأشعار قديمة. وإن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة في التوراة بين أنشودة موسى - الموجودة في سفر الخروج - وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد - هي في مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام وقواعد الكهنة. وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات؛ حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة، ومن الصعب علينا فهمها. وفي الأسفار كانت أقوال موسى قليلةً إلى حدٍّ ما، كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخر منسوب إليه»[1].

تلك هي شهادة العلماء الخبراء في نقد النصوص من اليهود - شهادة شهود من أهلها - على أن هذا المصدر الذي ورد فيه «وعد اللّه لإبراهيم» بامتلاك الأرض المقدسة - له ولنسله - ليس كلمة اللّه، ولا وحيه إلى موسى عليه السلام، بل إنه لم يكتب في عصر موسى، وإنما هو لفائف مختلفة، لكتّاب مختلفين، من عصور مختلفة تمتد على ما يقرب من ثلاثة آلاف عام بعد عصر موسى.. فهو تجميع لثقافات شفهية، امتدت من عصر موسى إلى عصر تدوينه في القرن الخامس قبل الميلاد - عصر عزرا - .. وسفر التكوين - الذي جاءت

---

(١) زالمان شازار - محرر -، تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، (ص ٩٦، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠)، ترجمة: د. أحمد محمد هويدي، تقديم ومراجعة: د. محمد خليفة حسن، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (٢٠٠٠م).

به تصوص هذا « الوعد لإبراهيم » - لم يدون إلا في القرن السابع قبل الميلاد؛ أي بعد نحو سبعة قرون من عصر موسى عليه السلام.. الأمر الذي يطعن مصداقية هذا المصدر في الصميم.. ومن ثمَّ يُسقط مصداقية هذا الوعد الذي نسبوه إلى اللّـه بتمليك الأرض المقدسة لإبراهيم عليه السلام.. وبالتالي يجرد الصهيونية اليهودية من أي حق في امتلاك واحتكار القدس والأرض المقدسة في فلسطين.

يضاف إلى ذلك، ما اشتملت عليه أسفار ذلك (العهد القديم) - ومنها سفر التكوين - من تناقضات تزيد افتقاره للمصداقية.. وعلى سبيل المثال - لا الحصر - فلقد جاء بسفر التكوين هذا - بقصة الخلق - أن الإنسان كان آخر المخلوقات[١]. ومرة أخرى أن الإنسان كان أول المخلوقات[٢].

وفي الحديث عن الطوفان، جاء - بهذا السفر - أنه قد دام أربعين يومًا وأربعين ليلة[٣]. ومرة أخرى، جاء فيه أن الطوفان قد دام مائة وخمسين يومًا[٤]!!

الأمر الذي يفقد هذا المصدر المصداقية التي تجب في الكتب التي تتحدث عن اللّـه - وعن وعود اللّـه.

---

(١) سفر التكوين: (١: ٢٧).

(٢) سفر التكوين: (٢: ٢٥).

(٣) سفر التكوين: (٧: ١٢).

(٤) سفر التكوين: (٧: ٢٤).

أما السبيل الثاني لنفي مصداقية نصوص هذا العهد - تحديدًا - فهو سبيل النقد الداخلي لهذه النصوص التي جاءت عن هذا العهد في سفر التكوين..

○ ففي النص الأول، يحدد الرب حدود هذه الأرض التي أعطاها لأبرام ولنسله بأنها الأرض التي يبلغها بصر أبرام: « ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالًا وجنوبًا شرقًا وغربًا؛ لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد ».

والسؤال: ما هي حدود نظر وبصر أبرام، حتى تحدد مساحة الأرض الموعودة له ولنسله؟!.. إننا أمام وعد بشيء مجهول، ليس عليه ولا على مساحته دليل!!

○ وفي النصين الثاني والثالث تحديد للأرض الموعودة بأنها كنعان: « وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، أرض كنعان ملكًا أبديًا ».. فهل كانت حدود بصر أبرام، شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا، تبلغ كل أرض كنعان؟!.. إنها معجزة ليس لها ذكر ولا أثر في معجزات الخليل إبراهيم عليه السلام!

○ وفي النص الرابع ما يزيد الأمر غرابةً وعجبًا؛ إذ فيه تحديد مساحة الأرض الموعودة بأنها ما بين نهر النيل ونهر الفرات: « هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ».. ومعلوم أن هذه المساحة من الأرض هي أضعاف أرض كنعان - التي حددها النص الثالث -.. وهي من

ويؤكد على أن إبراهيم الخليل عليه السلام إنما كان غريبًا ومتغربًا في هذه الأرض حتى أواخر حياته، حتى أنه لم يكن يملك موضعًا لقبر يدفن فيه زوجه سارة، فاشترى لدفنها قبرًا من الحيثيين - أهل تلك البلاد وملاكها -..

- ففي هذا السفر - سفر التكوين - نقرأ: « وتغرّب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أيامًا كثيرة »[1].

- وفي هذا السفر - أيضًا - ما يقطع بأن إبراهيم عليه السلام قد ظل غريبًا ومتغربًا في هذه الأرض المقدسة حتى أواخر أيام حياته - عندما ماتت زوجه سارة عن مائة وسبعة وعشرين عامًا -.. ففي هذا السفر نقرأ:

« وكانت حياة سارة مائة وسبعًا وعشرين سنة، سني حياة سارة. وماتت سارة في قرية أَرْبَعَ التي هي في حَبْرون، في أرض كنعان، فأتى إبراهيم ليندُبَ سارة ويبكي عليها. وقام إبراهيم من أمام مَيْتِهِ، وكلَّم بني حِثّ قائلًا: أنا غريبٌ ونزيلٌ عندكم، أعطوني مُلك قبر معكم لأدفن مَيْتي من أمامي. فأجاب بنو حِثّ إبراهيم قائلين له: اسمعنا يا سيدي، أنت رئيس من اللّـه بيننا، في أفضل قبورنا ادفن مَيْتَكَ، لا يمنع أحدٌ منا قبرَه عنك حتى تدفن مَيْتَكَ. فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض، لبني حِثّ. وكلَّمهم قائلًا: إن كان في نفوسكم أن أدفن مَيْتي

---

(١) سفر التكوين: (٢١: ٣٤).

من أمامي فاسمعوني والتمسوا لي من عِفرون بن صُوحرَ. أن يعطيني مغارة المَكْفِيلَةِ التي له التي في طرف حقله، بثمن كامل يعطيني إياها في وسْطِكم مُلكَ قبر. وكانَ عِفرون جالسًا بين بني حِث، فأجاب عِفرون الحِثِّيُّ إبراهيم، في مسامع بني حِثّ، لدى جميع الداخلين بابَ مدينته قائلًا: لا يا سيدي، اسمعني، الحقل وهبتك إياه، والمغارة التي فيه لك وهبتها، لدى عيون بني شعبي وهبتك إياها، ادفن مَيْتَك. فسجد إبراهيم أمام شعب الأرض. وكلَّم عِفرون في مسامع شعب الأرض قائلًا: بل إن كنت أنت إياه فليتك تسمعني، أُعطيك ثمن الحقل، خُذْ مني فأدفِنَ ميتي هناك. فأجاب عِفرون إبراهيم قائلًا له: يا سيدي اسمعني، أرض بأربعمائة شاقل فضة ما هي بيني وبينك، فادفنْ مَيْتَكَ. فسمع إبراهيم لعِفرون، ووزن إبراهيمُ لعِفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حِثّ، أربعمائة شاقل فضة جائزةً عند التجار. فوجب حقل عفرون الذي في المكفيلة التي أمام مَمْرَا، الحقلُ والمغارةُ التي فيه وجميع الشجر الذي في الحقل الذي في جميع حدوده حواليه. وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في مغارة حقلِ المكفيلةِ أمام مَمْرَا التي هي حَبرون في أرض كنعان. فوجب الحقل والمغارةُ التي فيه لإبراهيم مُلكَ قبرٍ من عند بني حِثّ»[1].

فأين هو الوعد الإلهي المزعوم لإبراهيم بملك ما بين

(١) سفر التكوين: (٢٣: ١ - ٢٠).

النيل والفرات، إذا كان قد عاش غريبًا ومتغربًا في أرض كنعان - أرض الفلسطينيين - حتى أواخر حياته، لا يملك في هذه الأرض حتى موضع قبر يواري فيه جثمان زوجه سارة؟!.. وإذا كان قد اشترى بأربعمائة شاقل فضة القبر الذي دفن فيه زوجه في أرض كنعان؟!.

إننا أمام أساطير، خلت من أي منطقٍ أو اتساق.. تحاول النزعة الصهيونية اليهودية أن تؤسس عليها الاغتصاب والاحتكار والتهويد للقدس الشريف ولكامل أرض فلسطين.

○ وإذا جاز لقائلٍ أن يقول - بعد تفنيد مصداقية نصوص هذا الوعد التي جاءت في سفر التكوين -:

- ألم ترد في القرآن الكريم دعوة اللّـه ﷻ بني إسرائيل - على لسان موسى عليه السلام - إلى دخول الأرض المقدسة التي كتب اللّـه لهم؟!..: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢١].

فإننا نقول: إن هذه الدعوة إنما وجهت إلى قوم معينين من بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام، وعلى لسانه إبان وجودهم في سيناء.. وليست شاملة لذرية هؤلاء.. ثم إنها دعوة معلقة على شرط أن لا يرتدوا على أدبارهم، فينقلبوا خاسرين لهذه الدعوة وهذا التكريم.. لكن هؤلاء المدعوين لم يوفوا بهذا الشرط، وإنما ارتدوا على أدبارهم، ورفضوا هذه الدعوة، فانقلبوا خاسرين لهذه الدعوة وهذا العرض والتكريم.. وذلك عندما

قالوا: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ [المائدة: ٢٢] - ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]..

لقد رفضوا الدعوة، وعصوا أمر الداعي، وارتدوا على أدبارهم، فانقلبوا خاسرين، فحلت عليهم لعنة العصاة الجبناء.. ولم يذهب موسى ليقاتل الفلسطينيين وليدخل أرض كنعان.. وإنما قال لربه: ﴿إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٥]. لقد عصوا.. ورفضوا الدعوة.. ففسقوا وخسروا.. وتبرأ منهم موسى عليه السلام هو وأخوه هارون - ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ -.. فحكم الله على هؤلاء الفاسقين المرتدين العصاة بالتيه والحرمان من دخول هذه الأرض المقدسة.. ومات هذا الجيل - الذي وجهت إليه هذه الدعوة فرفضها - مات في التيه بصحراء سيناء.

وفي هذه الصحراء ذاتها مات موسى عليه السلام ودفن في ثراها، دون أن ترى عينه القدس أو تطأ قدمه أرض كنعان - فلسطين -.

* * *

وإذا كان هذا هو حظ الدليل الأول، والعمدة الذي تسوقه الصهيونية اليهودية - ومعها كل الذين يؤمنون بمصداقية أسفار العهد القديم - حظه من التماسك والصدق والاتساق.. فماذا

يكون حظ « الهذيان الصهيوني »، الذي احتفى به الكنيست الإسرائيلي – في شهر يوليو سنة (٢٠٠٩م) – عندما دُعي من يسمي نفسه أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة « برايلان » الإسرائيلية – د. مردخاي كيدار – ليحاضر في الكنيست، ثم في إذاعة المستوطنين الصهاينة عن حق اليهود في القدس.. فقال:

« إن القدس يهودية.. وعلى المسلمين أن يحملوا أحجار قبة مسجد الصخرة ليبنوها بمكة، فالمسجد الأقصى مكانه « الجعرانة » – بين مكة والطائف – كان يصلي فيه الرسول أحيانًا وأحيانًا في المسجد الأدنى – القريب منه – أثناء ذهابه من مكة إلى الطائف »[1]!!!

ولقد تبنت قطعان المستوطنين الصهاينة هذا « الفكر » وانطلقت تروج له، وتطالب بما طالب به هذا الذي سمى نفسه أستاذًا للتاريخ الإسلامي، والذي لا يعرف أن الطريق من مكة إلى الطائف لم يعرف – في ذلك التاريخ – أية مساجد.. وأن أول مسجد أقامه المسلمون هو مسجد قباء على مشارف المدينة المنورة.. وأن معنى « المسجد الأقصى » هو الحرم القدسي، كما أن معنى المسجد الحرام هو الحرم المكي، وبينهما تم الرباط، وكانت معجزة الإسراء.

---

(١) صحيفة (المصري اليوم)، عدد (٣٠ - ٧ - ٢٠٠٩م).

ولم يقف أمر هذا الهذيان الصهيوني عند هذا الحد، بل لقد تبنته واحتفت به - أيضًا - « جماعة أمناء الهيكل » الصهيونية، وزعيمها « يهودا غتصبون » وهي التي تسعى - بتمويل أمريكي وغربي - إلى إقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى في الحرم القدسي الشريف[1]!

هكذا تهاوت وتهافتت وانحدرت « حجج » الصهاينة حول « حقوقهم » في الامتلاك والاحتكار والتهويد للقدس وفلسطين.. انحدرت من النصوص المتناقضة، والفاقدة للمصداقية والاتساق والمنطق، إلى هذا الهذيان الذي يحاولون أن يؤسسوا عليه الاغتصاب والاحتكار والتهويد للقدس وفلسطين!

* * *

○ أما النزعة الثانية التي سعت وتسعى لاحتكار القدس والأرض المقدسة.. والتي خاضت في سبيل ذلك حروبًا صليبيةً دامت قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١ م)، تحالفت أثناءها مع الوثنية التترية والتي عاودت هذا المسعى منذ إسقاط غرناطة (٨٩٧هـ / ١٤٩٢ م)، وبدء الغزوة الغربية الحديثة لعالم الإسلام.. والتي تحالفت منذ العقد الأخير للقرن التاسع عشر مع الصهيونية اليهودية، فهي النزعة الكنسية المسيحية الغربية - الكاثوليكية منها والبروتستانتية -

---

(١) صحيفة (المصري اليوم)، عدد (١٤ - ١٠ - ٢٠٠٩ م).

التي مثلت التبرير الديني للطمع الإمبريالي في الاستيلاء على الشرق الإسلامي، ونهب ما فيه من ثروات وخيرات.

ذلك أن المصالح الإمبريالية، والطمع الغربي في إعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامي - الذي أنقذ أوطانه وشعوبه وعقائدها من القهر الإغريقي الروماني الذي دام قبل الإسلام عشرة قرون - إن هذا الطمع في المصالح المادية الإمبريالية لا يمشي عاريًا، وإنما لا بد له من غلالات تستر عوراته، وتسوّقه لدى الشعوب الغربية كي تضحي في حروبه بالغالي والنفيس.. ولقد كانت هذه الأساطير اللاهوتية الغربية هي الغلالة التي حاول بها الغرب - الكاثوليكي.. والبروتستانتي - ستر عورات هذه الأطماع..

○ فأساطير التعصب الصليبي[1].. ودعاوى تخليص قبر ابن اللّـه، هي التي دفعت البابا الذهبي « أوربان الثاني » (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) إلى شن أطول الحروب العالمية الغربية ضد الشرق الإسلامي - الحروب الصليبية - التي دامت قرنين من الزمان..

كانت أوروبا تعاني من صراعات أمراء الإقطاع الأوروبيين.. وكانت طامعةً في الاستيلاء على خيرات الشرق المادية..

---

(١) انظر فيها كتابنا: في فقه الصراع على القدس وفلسطين، طبعة القاهرة (٢٠٠٥م).

وعلى التجارة الدولية بين آسيا وأوروبا.. فأقامت الكنيسة الكاثوليكية تحالفًا بين أمراء الإقطاع وبين المدن التجارية الأوروبية - جنوة.. وبيزا.. ونابولي - تحت قيادة الكنيسة - للاستيلاء على هذه الثروات والخيرات، مغلفةً ذلك الطمع المادي بأساطير تخليص قبر المسيح - بالقدس - من سلطان المسلمين.. وجاعلةً هذه الحرب الاستعمارية مقدسة في سبيل الرب.. وواعدةً فرسان الإقطاع الأوروبيين بالجنة!

وفي مدينة « كليرمونت » بجنوبي فرنسا، أعلن البابا عن هذه الأطماع مغلفًا إيَّاها بالأساطير الكهنوتية، وذلك عندما خطب في أمراء الإقطاع الأوروبيين فقال:

« يا من كنتم لصوصًا كونوا اليوم جنودًا!.. لقد آن الزمان الذي فيه تحوّلون ضد الإسلام تلك الأسلحة التي أنتم لحد الآن تستخدمونها بعضكم ضد بعض.. فالحرب المقدسة المعتمدة الآن هي في حق اللّـه عينه.. وليست هي لاكتساب مدينة واحدة.. بل هي أقاليم آسيا بجملتها، مع غناها وخزاينها العديمة الإحصاء..

فاتخذوا محجة القبر المقدس، وخلّصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين، وأنتم أملكوها لذواتكم، فهذه الأرض - حسب ألفاظ التوراة - تفيض لبنًا وعسلًا، ومدينة أورشليم هي قطب الأرض المذكورة والأمكنة الخصبة المشابهة فردوسًا سماويًا.

اذهبوا وحاربوا البربر - (أي المسلمين!) - لتخليص الأراضي المقدسة من استيلائهم.. أمضوا متسلحين بسيف مفاتيحي

البطرسية - (مفاتيح الجنة التي صنعها البابا!) - واكتسبوا لذواتكم خزاين المكافآت السماوية الأبدية، فإذا أنتم انتصرتم على أعدائكم، فالملك الشرقي يكون لكم قسمًا وميراثًا.

هذا هو الحين الذي فيه أنتم تفدون عن كثرة الاغتصابات التي مارستموها عدوانًا.. من حيث أنكم صبغتم أيديكم بالدم ظلمًا، فاغسلوها بدم غير المؤمنين - (أي المسلمين) »[1].

○ ففي هذا الخطاب التأسيسي للحروب الصليبية - التي دامت قرنين من الزمان - نجد المصالح الإمبريالية متمثلةً ومعلنةً في:

الامتلاك الأبدي لكل أقاليم آسيا، ذات الغنى والخزائن التي تعز على الإحصاء، وحيازة الأرض التي تفيض لبنًا وعسلًا، والتي تشبه - في غناها - الفردوس السماوي!

○ أما الأساطير اللاهوتية التي تغلف هذه الأطماع المادية، فهي:

امتلاك مفاتيح الجنة، وخزائن المكافآت السماوية الأبدية، وتخليص قبر المسيح - في القدس - من سلطان المسلمين!

○ ولقد شحنت هذه الأساطير اللاهوتية فرسان الإقطاع

---

(١) مكسيموس مونروند، تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب، (١/ ١٢ - ١٤)، ترجمة: مكسيموس مظلوم، طبعة أورشليم (١٨٦٥)، [ونحن نلتزم أسلوب الترجمة على ما فيه من ركاكة].

الأوروبيين إلى اقتحام القدس الشريف في (٢١ شعبان ٤٩٢هـ/ ١٢ يوليو ١٠٩٩م).. فقتلوا وذبحوا وأحرقوا سبعين ألفًا من المسلمين - ومعهم من كان بالمدينة من اليهود - في سبعة أيام!.. ولم يسلم الذين هربوا إلى مسجد عمر - مسجد قبة الصخرة - واحتموا به.. إذ دخلت خيول الصليبيين المسجد، وذبحت كل من احتمى به، حتى سبحت الخيول في دماء المسلمين إلى لُجم الخيل! « لقد أبادوا - بحد السيف - كل الموجودين هناك.. حتى استوعب الجامع من الدم بحرًا متموجًا، علا إلى حد الركب، بل إلى لُجم الخيل » - كما قال المؤرخ النصراني « مكسيموس مونروند ».

وكتب الصليبيون إلى البابا الذهبي يفاخرون بهذه « المعجزة المقدسة » ويقولون له: « يا ليتك كنت معنا لتشهد خيولنا وهي تسبح في دماء الكفار - (أي المسلمين!) -.. »[1].

○ وبعد أن كلّت أيديهم من سفك الدماء.. شربوا نبيذ المعاصر، ثم اندفعوا - في حالة هستيرية « يبكون من فرط الضحك، إلى كنيسة القيامة، ووضعوا أكفهم الغارقة في الدماء على جدرانها، ورددوا الصلوات »[2]!.. تقربًا إلى ربهم بهذا القربان الذي قدموه!!

---

(١) مكسيموس مونروند، تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب، (١/ ١٧٢)، ترجمة: مكسيموس مظلوم، طبعة أورشليم (١٨٦٥م).

(٢) المصدر السابق، (١/ ١٧٤، ١٧٥).

ولم يكن فرسان الإقطاع الصليبيون وحدهم هم الذين قادتهم الأساطير إلى صنع هذه المجزرة في القدس الشريف.. وإنما كان رجال الكهنوت هم أيضًا في طليعة الذين مارسوا القتل والذبح - في شوارع القدس وأزقتها - تقربًا بذلك إلى اللّـه!!

ولقد نقلت المستشرقة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكة (١٩١٣ - ١٩٩٩م) عن المؤرخ الأوروبي «ميشائيل درسيرر»:

«كيف كان البطريرك نفسه يعدو في أزقة بيت المقدس، وسيفه يقطر دمًا، حاصدًا به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه تخلصًا من الدماء اللاصقة بها، مرددًا المزمور التالي: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقًا إن للصديق مكافأة، وإن في الأرض إلهًا يقضي»[١] - ثم أخذ في أداء القداس قائلًا: إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضي الرب»[٢]!!

هكذا صنعت الأساطير اللاهوتية الكاثوليكية بالقدس الشريف!

---

(١) المزمور: (٥٨: ١٠، ١١).

(٢) سيجريد هونكة (اللّـه ليس كذلك) (ص ٢٥ - ٣٤). ترجمة: د. غريب محمد غريب. طبعة القاهرة (١٩٩٥م).

○ ولقد ظلت هذه الأساطير محركة للصليبية الكاثوليكية، حتى بعد هزيمة. الحملات الصليبية، واقتلاع آخر حصونها - في عكا - في (١٧ جماد الثاني ٦٩٠هـ/ ١٧ يونيو ١٢٩١م)..

فبعد إسقاط غرناطة (٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) حُرِّكت ذات الأساطير الصليبية الكاثوليكية.. ثانيةً لإعادة اغتصاب الشرق، تحت ستار استعادة قبر المسيح إلى الكنيسة المقدسة، وتحقيق « ما قال به يسوع المخلِّص، وذكره من قبل عبر رسالة القديسين ».. وتحقيقًا لنبوءات الكاردينال « بيير » عن « نهاية المسلمين »!.. ونبوءات الأب « يواقيم الفبوري » القائلة: إن استعادة القدس، وقبر المسيح، ستحقق على يد حملة صليبية تخرج من إسبانيا.. وتقوم « بإعادة بناء الضريح المقدس للمسيح، فوق جبل صهيون بالقدس.. وتعيد مدينة القدس إلى أحضان الكنيسة الكاثوليكية ».

هكذا حركت هذه الأساطير اللاهوتية الكاثوليكية الحملة الصليبية الحديثة.. وهكذا عبّر عنها « كرستوفر كولمبس » (١٤٥١ - ١٥٠٦م) الذي جمع الذهب، وطلب من ملكي إسبانيا « فرديناند » (١٤٧٩ - ١٥١٦م) و « إيزابيلا » (١٤٧٤ - ١٥٠٤م)ومن البابا « إسكندر السادس »(١٤٩٢ - ١٥٠٣م) تجهيز حملة صليبية من خمسين جنديًا - مشاة - وخمسة آلاف فارس لفتح الديار المقدسة، والاستيلاء على القدس من جديد[1].

---

(١) د. حاتم الطحاوي، وثيقة نادرة: بعد غرناطة جاء دور القدس، مجلة =

○ ولقد تجذرت هذه الأساطير اللاهوتية في البروتستانتية الغربية، منذ « مارتن لوثر » (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) وكتابه (المسيح يهوديًا)، الذي أضفى القداسة على (العهد القديم) مع (العهد الجديد) ومن ثَمّ أضفى القداسة والمصداقية على وعد اللّه بالأرض المقدسة - وضمنها « القدس » - لإبراهيم وذريته من إسحاق -.. والذي حوّل هذه الأسطورة إلى عقيدة « المسيحية الصهيونية » حول « الألفية السعيدة » التي سيعود فيها المسيح ليحكم العالم ألف سنة سعيدة، بعد حشر اليهود في الأرض المقدسة، وإعادة بناء الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى!

نعم.. لقد زرع « مارتن لوثر » المسيح في إسرائيل.. وزرع (العهد القديم) - بأساطيره - في المسيحية البروتستانتية، وذلك عندما قال: - في كتابه (المسيح يهوديًا) -:

« إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء اللّه ونحن الضيوف والغرباء، ولذلك علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها »[1]!!

= العربي، الكويت، عدد مارس (٢٠٠٣م) (ص ٦٢ - ٦٧)، وصحيفة (الأهرام) مقال: « أول إسرائيل آخر أمريكا »، لأحمد عبد المعطي حجازي، في (٢٨ - ٤ - ٢٠٠٤م).

(١) محمد السماك، الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي، (ص٣٦)، طبعة مالطا (١٩٩١م).

ومنذ ذلك التاريخ، تبلورت في البروتستانتية « عقيدة المسيحية الصهيونية » التي ترى:

أولًا: أن اليهود هم أبناء اللّـه وشعبه المختار.

ثانيًا: أن ثمة ميثاقًا إلهيًا يربط اليهود بالأرض المقدسة وفلسطين.

وثالثًا: ربط الإيمان المسيحي في عودة المسيح، بقيام الدولة الصهيونية في الأرض المقدسة، والاستيلاء على القدس، وبناء الهيكل اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى.

○ وفي إطار هذه البروتستانتية الغربية تصاعدت الأنشطة والكتابات والمشاريع التي تعمل على إعادة اغتصاب القدس – والأرض المقدسة – من المسلمين من جديد.. وتزامنت هذه الأنشطة والكتابات والمشاريع الكنسية مع المد الإمبريالي الغربي الطامع في ثروات الشرق وخيراته، فكانت الشراكة « الصليبية – الإمبريالية » التي أقامت الكيان الصهيوني على أرض فلسطين سنة (١٩٤٨م).. والتي مكّنت هذا الكيان من الاحتكار والتهويد للقدس الشريف منذ سنة (١٩٦٧م).

ومن نماذج هذه الأنشطة والمشاريع والكتابات « المسيحية الصهيونية »:

١ – النداء الذي قدمه اللاهوتيان الإنجليكانيان – الإنجليزيان « جوانا » و« ألينزر كارترايت » سنة (١٦٤٩م) إلى الحكومة الإنجليزية لإقامة شراكة مع اليهود في الاستيلاء

على القدس وفلسطين، وذلك كي يكون للبروتستانت الإنجليز والهولنديين « شرف نقل اليهود إلى الأرض التي وعد اللّه بها أجدادهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ومنحهم إياها إرثًا أبديًا »[1].

٢ – الدراسة التي نشرها اللورد الإنجليزي « آشلي كوبر » (إيرل شافتسبري) (١٨٠١ – ١٨٨٥م) والتي جاء فيها:

« إن اليهود هم الأمل في تجدد المسيحية، وعودة المسيح ثانيةً » ليحكم العالم ألف سنة سعيدة!

٣ – الرسالة التي أرسلها سكرتير البحرية الإنجليزية سنة (١٨٣٩م) إلى وزير الخارجية البريطانية « بالمرستون » (١٧٨٤ – ١٨٩٥م).. والتي يقترح فيها:

« دعوة أوروبا للاقتداء بالملك الفارسي « قورش » (٥٥٧ – ٥٢٨ ق.م) وإعادة اليهود إلى فلسطين، كما سبق وأعادهم « قورش » من السبي القديم! ». ولقد سعى « بالمرستون » لدى العثمانيين لتحقيق ذلك الهدف.

٤ – وفي سنة (١٨٤٠م) عقد في لندن مؤتمر لتوطين اليهود في القدس وفلسطين، قدم فيه اللورد الإنجليزي « شافتسبري » برنامجًا لهذا التوطين على قاعدة: « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض »!.. أي الاستعمار الاستيطاني، الذي مارسه العبرانيون قديمًا في أرض كنعان!

---

(١) محمد السماك، الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي (ص ٣٦ – ٣٩).

٥ - وفي سنة (١٨٤٤م) ألف البرلمان الإنجليزي لجنة «إعادة أمة اليهود إلى فلسطين».

٦ - وفي سنة (١٨٨٢م) ذهب القس الإنجليزي «وليم هشلر» (١٨٤٥ - ١٩٣١م) إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ/ ١٨٤٢ - ١٩١٨م) ساعيًا لإقناعه بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين.. وفي نفس العام، عُقد في إنجلترا المؤتمر الأول لرجال الدين المسيحيين من أجل «إيجاد حل للمسألة اليهودية».

٧ - وفي سنة (١٨٩٤م) صدر كتاب الدبلوماسي الإنجليزي القس «وليم هشلر» وعنوانه: (إعادة اليهود إلى فلسطين)!

٨ - وفي (٢ نوفمبر ١٩١٧م) صدر وعد وزير الخارجية الإنجليزية «جيمس بلفور» (١٨٤٨ - ١٩٣٠م) إلى المليونير الصهيوني «لورد روتشيلد» (١٨٤٥ - ١٩٣٤م) بإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين.. وهو الوعد الذي وضعه الانتداب البريطاني في الممارسة والتطبيق.. وعندما دخل الجيش الإنجليزي إلى القدس سنة (١٩١٧م) قال قائده الجنرال «اللنبي» (١٨٦١ - ١٩٣٦م) كلمته الشهيرة: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»!.. ويومها نشرت مجلة «بنش» Punch - الإنجليزية - رسمًا كاريكاتوريًا موحيًا.. ظهر فيه الملك الصليبي الإنجليزي «ريتشارد قلب الأسد» (١١٥٧ - ١١٩٩م) وهو يقول: «أخيرًا تحقق حلمي»!

٩- وعلى جبهة البروتستانتية الأمريكية، أسس المهاجرون الأمريكيون الأوائل - الآباء المؤسسون - أمريكا على قاعدة الاستيطان العبراني.. معتبرين أنفسهم «أطفال إسرائيل»! الذين خرجوا من حكم الملك جيمس الأول (١٥٦٦ - ١٦٢٥م) كما خرج بنو إسرائيل من حكم فرعون.. فأبادوا الهنود الحمر كما صنع العبرانيون مع الكنعانيين، وبنوا أمريكا على قاعدة: «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»!.. وبلغوا في التوأمة مع بني إسرائيل حد إطلاق الأسماء العبرانية - مثل: «حبرون» و«كنعان» على الأماكن والأنهار.. وإطلاق الأسماء العبرانية مثل «أبراهام» و«سارة» و«إلعازر» على المواليد - !.. وفرض تعليم العبرية في المدارس والجامعات.. حتى لقد كان أول كتاب يطبع في أمريكا هو سفر المزامير.. وأول مجلة تصدر عنوانها (اليهودي).. وأول دكتوراة تمنحها جامعة «هارفارد» سنة (١٦٤٢م) عنوانها «العبرية هي اللغة الأم»!.. كما أطلقوا على نهر كولورادو الاسم العبراني القديم «باشان»!

وهكذا اعتبر الآباء المؤسسون لأمريكا أنهم قد خرجوا إلى «كنعان الجديدة»!.. وإلى «القدس الجديدة».. معتبرين أنفسهم «أطفال إسرائيل» Children of Israel.. ومن ثم انخرطوا في إطار التبشير والعمل على وضع الأساطير - أساطير المسيحية الصهيونية - في الممارسة والتطبيق.

١٠- فتبنى القس الأمريكي «جوزيف سمث» (١٨٠٥ -

١٨٤٤م) - مؤسس الكنيسة المرمونية - نظرية «البعث اليهودي».. وتبعه عدد من ألمع اللاهوتيين الإنجيليين، من مثل: «سايروس سكوفيلد».. و«وليم بلاكستون» (١٨٤١ - ١٩٣٥م) و«رودرجريسون» الذين عملوا على إقامة المستوطنات اليهودية في أرض فلسطين!.. وأنشأ «بلاكستون» «البعثة العبرية من أجل إسرائيل» - المستمرة حتى الآن باسم «الزمالة اليسوعية الأمريكية» - التي تمثل نواة مركز الضغط - Lobby - الصهيوني في أمريكا.

١١ - وفي سنة (١٨١٨م) طالب الرئيس الأمريكي «جون آدمز» (١٧٣٥ - ١٨٢٦م) باستعادة اليهود إلى فلسطين، وإقامة حكومة يهودية مستقلة فيها!

١٢ - وفي سنة (١٨٦٦م) أرسلت البروتستانتية الأمريكية أولى البعثات الاستيطانية إلى أرض فلسطين، يقودها القس «آدم»، ومعه (١٥٠) قسيسًا أمريكيًا.. وفي العام التالي (١٨٦٧م) قامت على أرض فلسطين أولى المستوطنات الأمريكية، بمشاركة (٧٠) شخصيةً دينيةً من المسيحيين الصهاينة.

١٣ - وفي سنة (١٨٧٨م) قام القس الأمريكي «وليم بلاكستون» (١٨٤١ - ١٩٣٥م) بالتنظير اللاهوتي للمسيحية الصهيونية، وذلك في كتابه (المسيح آتٍ) - الذي ينظِّر للأساطير المسيحية في اغتصاب القدس وفلسطين.. وهو

الكتاب الذي تُرجم إلى أربعين لغةً.. وأصبح الأكثر انتشارًا في القرن التاسع عشر بعد الكتاب المقدس!

وعندما زار « بلاكستون » فلسطين سنة (١٨٨٨م) رفع شعار: « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض »!.. وذلك قبل عشر سنوات من المؤتمر الصهيوني الأول.. وقبل تأليف « تيودور هرتزل » (١٨٦٠ - ١٩٠٤ م) كتابه (الدولة اليهودية) سنة (١٨٩٦م)!

١٤ - وفي (١٨٩١م) جمع القس الأمريكي « وليم بلاكستون » توقيعات (٤١٣) شخصية مسيحية ويهودية على مذكرة تطلب من الرئيس الأمريكي « بنجامين هاريسون » (١٨٣٣ - ١٩٠١م) عقد مؤتمر دولي من أجل إعادة اليهود إلى فلسطين، ومن بين هذه الشخصيات التي وقعت على هذه المذكرة « جون روكفلر » (١٨٣٩ - ١٩٣٧م) و « وليم روكفلر » (١٨٤١ - ١٩٢٢م).. من كبار رجال المال والصناعة، والصناع الحقيقيين للقرار الأمريكي.

١٥ - وفي (١٩١٨م) أعلن الرئيس الأمريكي « ويلسون » (١٨٥٦ - ١٩٢٤م) التزام أمريكا بتنفيذ وعد « بلفور ».. ثم صادقت أمريكا على الوعد رسميًا سنة (١٩٢٢م)، وقرر مجلس النواب الأمريكي « منح اليهود الفرصة التي حرموا منها لإعادة إقامة حياة يهودية وثقافية خاصة في الأرض اليهودية القديمة »!

١٦ - وفي إدارة الرئيس الأمريكي « روزفلت » (١٨٥٨ - ١٩١٩م) أصبح اليهود - الذين يشكلون أقل من (٣٪) من سكان أمريكا - يسيطرون على (١٥٪) من المناصب القيادية القابضة على المواقع الحساسة في أمريكا!

١٧ - وأصبحت « المسيحية الصهيونية » عقيدةً دينيةً تغلف النزوع الإمبريالي لأمريكا في الشرق.. وتجعل من الدولة الصهيونية - التي كانت أمريكا أول من اعترف بها سنة (١٩٤٨م) - تجليًا إلهيًّا، وكيانًا مقدسًا، لا يسري عليه القانون الدولي.. حتى لقد قال القس الأمريكي « والتر ريجانز » عن هذه النظرية - العقيدة - اللاهوتية:

« إن الصهيونية التوراتية، التي هي بالتأكيد أمنية كل مسيحي، تتعلق بشكل أساسي بالله وبأهدافه، ولذلك تُفهم الصهيونية من خلال الرؤية المسيحية على أنها جزء من اللاهوت الديني، وليست جزءًا من السياسة، وإن دولة إسرائيل هي مجرد البداية لما يفعله الله من أجل الشعب اليهودي ومن خلال الشعب اليهودي. إن من واجب المسيحيين دعم إسرائيل وسياستها باعتبارها إشارة إلهية لرحمة الله، واستجابة لإرادته، على أنها تشكل إشارة توراتية بأن الله منشغل جدًا في قضايا هذا العالم »!.

ولهذه العقيدة الأسطورية تولى - ويتولى - « الفيتو » الأمريكي حماية إسرائيل من أن يطبق عليها القانون!

١٨ - كما عبر « بنيامين نتنياهو » - عندما كان سفيرًا

للكيان الصهيوني بالأمم المتحدة - في خطابه أمام الجمعية العامة سنة (١٩٨٥م) - عن دور هذه العقيدة المسيحية الصهيونية في البعث اليهودي، والحركة الصهيونية، وفي إقامة إسرائيل، فقال:

« إن كتابات المسيحيين الصهيونيين - الإنجليز والأمريكان - أثرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين، مثل: « لويد جورج » (١٨٦٣ - ١٩٤٥م) و « آرثر بلفور » (١٨٤٨ - ١٩٣٠م)، و « درو ولسون » (١٨٥٦ - ١٩٢٤م) في مطلع القرن العشرين.

إن حلم اللقاء العظيم - (عودة المسيح) - أضاء شعلة خيال هؤلاء الرجال، الذين لعبوا دورًا رئيسيًا في إرساء القواعد السياسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية.. لقد تفجر الحلم اليهودي من خلال المسيحيين الصهيونيين »!

نعم.. « لقد تفجر الحلم اليهودي من خلال المسيحيين الصهيونيين »!

ولقد استمرت هذه الأساطير المسيحية الصهيونية مسيطرةً على صانع القرار الأمريكي.. ومغلفةً لمطامع الإمبريالية الأمريكية، بعد إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين سنة (١٩٤٨م).

١٩ - فالرئيس الأمريكي « ليندون جونسون » (١٩٠٨ - ١٩٧٣م) يخطب سنة (١٩٦٨م) في إحدى المنظمات اليهودية، فيقول:

« إن لأكثركم، إن لم يكن لجميعكم روابط عميقة مع أرض وشعب إسرائيل، كما هو الأمر بالنسبة إليّ؛ ذلك لأن إيماني المسيحي انطلق من إيمانكم. إن القصص التوراتية محبوكة في ذكريات طفولتي، كما أن الكفاح الشجاع الذي قام به اليهود المعاصرون من أجل التحرر من الإبادة منغمس في نفوسنا »!

٢٠ - الرئيس الأمريكي « جيمي كارتر » (١٩٢٤م - ...) - الذي يعتنق عقيدة « الولادة الثانية » - يعترف بأن مشاعره المؤيدة للصهيونية كانت الموجه لسياسته الشرق أوسطية..، فيقول - في خطاب الأول من مايو (١٩٧٨م) -:

« إن العودة إلى أرض التوراة التي أُخرج منها اليهود منذ مئات السنين، وإن إقامة الأمة الإسرائيلية في أرضها هو تحقيق لنبوءة توراتية، وهي تشكل جوهر هذه النبوءة ».

٢١ - الرئيس الأمريكي « رونالد ريجان » (١٩١١ - ٢٠٠٤م) هو القائل سنة (١٩٨٤م):

« إنني أعود إلى النبوءات القديمة المذكورة في العهد القديم، وإلى المؤشرات حول هرمجدون[1]، فأتساءل بيني وبين نفسي: ما إذا كنّا الجيل الذي سيرى تحقق ذلك؟.. إن هذه النبوءات تصف بالتأكيد ما نمر به الآن »!.

---

(١) معركة حاسمة.. على أرض فلسطين - يعود بعدها المسيح لحكم العالم ألف سنة سعيدة، ويسبقها عودة اليهود إلى فلسطين، وهي من الأساطير الإنجيلية - رؤيا يوحنا (١٦: ٦).

٢٢ - وحتى الغزو الأمريكي للعراق - الذي قاده الرئيس الأمريكي « بوش - الصغير » سنة (٢٠٠٣م)، والذي استهدف البترول بالدرجة الأولى - تغلفه أساطير المسيحية الصهيونية التي عبر عنها القس الأمريكي « ديفيد بريكنر » بقوله:

« إننا نعرف أن تدمير بابل - الذي ورد في الإصحاح (١٨) من سفر إشعيا - يعني تدمير العراق »!

وبعبارة القس الأمريكي « تشارلز داير » - أستاذ اللاهوت في جامعة « دالس » -:

« إن إصحاح (إشعيا ١٣) يشير إلى قيام صدام حسين (١٣٥٦ - ١٤٢٧هـ/ ١٩٣٧ - ٢٠٠٦م) إلى غزوه للكويت، وذلك لإقامة قاعدة للهجوم على إسرائيل. فصدام هو خليفة « نبوخذ نصر » (٦٠٥ - ٥٦٢ق.م) (الذي هزم الإسرائيليين وسباهم إلى بابل ودمر الهيكل)، وذلك بسبب عداء صدام لإسرائيل، وبسبب نواياه لإعادة بناء بابل »[1].

٢٣ - ويقرر الكونجرس الأمريكي - في (٢٤ أكتوبر ١٩٩٥م) - اعتبار القدس عاصمةً أبدية لإسرائيل؛ لأنها - كما قالوا -: « الوطن الروحي لليهودية »!..

---

(١) الدين في القرار الأمريكي، (ص ٢٦، ٢٧، ٧٨، ٨١، ٤١، ٤٢، ٥٢)، طبعة بيروت (٢٠٠٣م)، وانظر - كذلك: جريس هالسل، النبوءة والسياسة، (ص ١٤٠)، ترجمة: محمد السماك، طبعة ليبيا (١٩٨٩م).

وهنا تلتقي الأساطير البروتستانتية مع الأساطير الكاثوليكية، التي جعلت الفاتيكان يعلن - بمناسبة « سنة الفداء ».. في (٢٠ - ٤ - ١٩٨٤م) -:

« إن أورشليم، منذ عهد داود.. الذي جعلها عاصمة لمملكته ومن بعده ابنه سليمان - الذي أقام الهيكل - ظلت موضع الحب العميق في وجدان اليهود، الذين لم ينسوا ذكرها على مر الأيام، وظلت قلوبهم عالقةً بها كل يوم، فهم يرون المدينة شعارًا لوطنهم »[1]!

وكما أعلن الرئيس الأمريكي « بوش الصغير » في الكنيست الصهيوني - في الذكرى الستين لقيام إسرائيل - في مايو (٢٠٠٨م): أن إسرائيل ليست (٧,٠٠٠,٠٠٠ نسمة)؛ وإنما هي (٢٠٧,٠٠٠,٠٠٠ نسمة)، لأن أمريكا هي جزء من إسرائيل!.. تحدث الفاتيكان - في المعاهدة التي عقدها مع إسرائيل في (٣١ - ١٢ - ١٩٩٣م) عن « العلاقة الفريدة بين الكاثوليكية وبين الشعب اليهودي »[2].

وهكذا تجمعت الأساطير بين الصليبية الكاثوليكية وبين المسيحية الصهيونية البروتستانتية، « لتفجر - كما قال نتنياهو - الحلم اليهودي من خلال المسيحيين الصهيونيين »!

---

(١) (الأهرام) في (١٢ - ٥ - ١٩٩٧م)، مقال الأنبا يوحنا قلته « حول رؤية الفاتيكان لقضية القدس ».

(٢) انظر كتابنا: د. محمد عمارة، الفاتيكان والإسلام (ص ١١)، طبعة القاهرة (٢٠٠٧م).

(٦)

الخلاصة..
والقوانين الحاكمة للصراع

هكذا كشفت صفحات هذه الدراسة عن:

○ أصالة التاريخ العربي لمدينة القدس، الضارب في أعماق أعماق التاريخ ستين قرنًا، بدأت صفحاته ببناء العرب اليبوسيين لهذه المدينة في الألف الرابع قبل الميلاد.. أي قبل عصر الخليل إبراهيم عليه السلام باثنين وعشرين قرنًا.. وقبل عصر موسى عليه السلام وظهور اليهودية بسبعة وعشرين قرنًا.

○ كما كشفت - هذه الدراسة - عن التاريخ القديم لقداسة هذه المدينة، التي بارك اللّـه فيها - وفيما حولها - قبل رحلة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام إليها، وتغرّبه في أرض كنعان - أرض الفلسطينيين -: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

○ كما كشفت عن شيوع وعموم قداسة القدس عند أتباع الديانات السماوية الثلاث:

- فاليهود يصلون إليها.. وتتعلق أفئدتهم بها، على الرغم من أن اليهودية لم تظهر بها.. ولم تنزل التوراة فيها.. ولم يرها نبي اليهودية موسى عليه السلام.

- والنصارى يصلون إليها.. وإلى مزاراتهم الدينية فيها

يحجون.. حيث ظهر المسيح عليه السلام وعاش.. وبشر.. ونزل عليه الإنجيل.. ورفعه اللَّه إليه - من تلك البقاع - مكانًا عليًا.

- والمسلمون يقدسون هذه المدينة.. فهي قبلتهم الأولى.. والرباط بينها وبين قبلتهم الثانية - الحرم المكي - عقيدة من عقائد الإسلام، تجسد وحدة الدين الإلهي، التي هي عقيدة أخرى من عقائد الإسلام.. ومسجدها الأقصى حرم مقدس - كالحرم المكي والحرم المدني - وأحد المساجد الثلاث التي تشدُّ إليها الرحال.. كما كانت المكان الذي شرف بمعجزتين من معجزات رسول الإسلام ﷺ: الإسراء.. والمعراج.

○ كما كشفت حقائق تاريخ هذه المدينة المقدسة عن أنها قد تعرضت للغزو والاحتلال والاغتصاب والاحتكار مراتٍ عديدة، في حقبٍ متفاوتة، عبر هذا التاريخ الطويل..

وأن كل الغزاة - من العبرانيين.. إلى البابليين.. إلى الرومان.. إلى الصليبيين.. وحتى الصهاينة - قد احتكروا هذه المدينة لأنفسهم، دون الآخرين، إبان الغزو والاحتلال والاغتصاب.

وأن العرب المسلمين - الذين حرروها من الاغتصاب والقهر والاحتكار الروماني الذي دام عشرة قرون - هم وحدهم الذين أشاعوا قداستها وقدسيتها بين جميع أصحاب المقدسات، وجعلوها إرثًا مشتركًا وجامعًا لأبناء ديانات

السماء؛ لأن الإسلام - وحده - هو الذي يعترف بكل ألوان الآخر، ويحترم كل عقائد الآخرين، ويجعل الحماية لكل مقدسات الآخرين فريضةً من فرائض الإسلام.. ولذلك، كانت السلطة العربية الإسلامية على هذه المدينة - عبر تاريخها الطويل - هي الضمان لإشاعة قداستها وقدسيتها بين جميع أصحاب المقدسات، وهي الشرط لمنع وقوعها في قيود الاحتكار.. فهذه السلطة العربية الإسلامية على القدس ليست امتيازًا للمسلمين، وإنما هي الضمان لمصالح الجميع في هذه المدينة التي يقدسها الجميع.

لذلك: تميزت «القداسة الدينية» لهذه المدينة عن «السلطة» التي تحكمها..

- فصلاة أهل أي دين إلى مكان من الأمكنة - القدس.. أو مكة - لا تتطلب امتلاك المصلِّي للقبلة التي يتوجه إليها في الصلاة..

- وحج المؤمن - في أي دين - إلى مكان معين، لا يستدعي امتلاك هذا المؤمن للمكان الذي يحج إليه..

- فكل النصارى - من كل بلاد الدنيا - يتجهون إلى القدس في الصلاة وفي الحج دون أن يتطلب ذلك امتلاكهم لها..

- وكذلك حال اليهود..

- وهو ذات الحال مع المسلمين في مختلف بلاد الدنيا.. يصلّون إلى المسجد الحرام بمكة.. ويحجّون إلى المشاعر

المقدسة فيها، دون أن يتوقف شيء من ذلك على امتلاك المصلين والحجاج لهذه البقاع..

فالمؤمنون - كل المؤمنين - تهفو قلوبهم إلى المعبود، دون أن يتملكوا ذات المعبود.. وإنما هم - على العكس - يتطلعون إلى الفناء في ذات المعبود..

لذلك، فإن قداسة القدس لدى أبناء الديانات السماوية الثلاث تتطلب « سلطةً » لا تحتكرها، وإنما تشيع قدسيتها بين الجميع.. « سلطة » يؤمن أهلها بكل شرائع الآخرين ومقدساتهم.. وتحرِّم عليهم عقيدتهم الدينية احتكار قدسية هذه المدينة دون الآخرين..

ولقد أفصحت سنن التاريخ وسير الديانات عن أن هذه « السلطة » كانت - فقط - هي « سلطة » الأمة المؤمنة بالإسلام، الذي يؤمن أهله بكل النبوات والرسالات والشرائع والكتب التي نزل بها وحي السماء.

* * *

○ كما كشفت حقائق هذه الدراسة عن الفوارق الجوهرية بين « العقائد الدينية » التي أبت وتأبى احتكار مدينة القدس، وبين « الأساطير » التي لبست لباس الدين، والتي توسل بها أصحابها لاحتكار هذه المدينة المقدسة..

تستوي في ذلك الأساطير التي دارت حول ما سُمي « بوعد اللّه لإبراهيم عليه السلام » ولذريته بامتلاك القدس واحتكارها - مع ما حولها -.. والأساطير التي ابتدعتها « الصليبية

الكاثوليكية » و « المسيحية الصهيونية البروتستانتية »، لتجعل منها ستارًا لعورات الأطماع الإمبريالية الغربية في ثروات الشرق وخيراته..

فعلاوة على منافاة هذه الأساطير جميعًا لمنطق العقل وصدق النقل، فإنها قد سقطت في مستنقع الاغتصاب والاحتكار للقدس الشريف.

* * *

○ كذلك كشفت حقائق هذه الدراسة عن السنن والقوانين التي حكمت الصراعات التي دارت حول هذه المدينة المقدسة، التي كانت رمز الصراعات في الشرق... وبوابة الانتصارات عبر تاريخها الطويل...

– فلقد احتكرها العبرانيون برهةً من الزمان، في القرن العاشر قبل الميلاد... ثم طُويت صفحتهم من كتاب التاريخ.

– واحتكرها البابليون برهةً من الزمان – في القرن السابع قبل الميلاد – ثم طويت صفحتهم من كتاب التاريخ.

– واحتكرها الإغريق والرومان والبيزنطيون عشرة قرون، حتى طوى التحرير الإسلامي للقدس والشرق صفحات هذا التاريخ.

– واحتكرها الصليبيون نحوًا من تسعين عامًا، أبادوا فيها الوجود الإسلامي.. وحوّلوا المسجد الأقصى المبارك إلى

كنيس لاتيني، ومخزن سلاح، واصطبل للخيول!.. حتى جاء التحرير الإسلامي، الذي قاده صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩هـ/ ١١٣٧ - ١١٩٣م) فأعاد لها القداسة وأشاعها من جديد.

* * *

○ وشهدت وقائع الصراعات حول هذه المدينة المقدسة على حقيقة غدت سُنَّةً متبعةً طوال تاريخ هذه الصراعات.. وهي:

- أن كل من عدا المسلمين قد فجروا بحار الدماء في هذه المدينة المقدسة عند اجتياحهم لها.. صنع ذلك العبرانيون.. والبابليون.. والرومان.. والصليبيون.. والإنجليز.. والصهاينة..

- وحدهم، هم المسلمون الذين جعلت عقيدتهم الدينية من القدس «حرمًا مقدسًا آمنًا» - مثل مكة - لا يجوز فيه القتال و لا سفك الدماء.. لذلك، حرص المسلمون دائمًا وأبدًا على التحرير السلمي لهذه المدينة من الغزاة.. صنعوا ذلك عندما حرروها من الرومان سنة (١٥ هـ/ ٦٣٦م).. وعندما حرروها من الصليبيين - على عهد صلاح الدين الأيوبي - سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م).

* * *

○ وإذا كانت هذه هي السنن والقوانين التي حكمت

الصراعات حول القدس الشريف - فيما مضى من التاريخ - فإنها - كسنن وقوانين - ستظل حاكمةً على الواقع الراهن الذي يعيشه القدس الآن تحت الاغتصاب والاحتكار والتهويد الصهيوني، الذي يوشك أن يجهز على طابعها العربي والإسلامي الضارب في أعماق التاريخ ستين قرنًا..

- فلقد احتل الصليبيون بلاد المشرق العربي قرنين من الزمان.. و « كثلكوا » القدس واحتكروها لأنفسهم نحوًا من تسعين عامًا - أي أكثر من ضعف عمر الاحتلال الصهيوني لها -.. ومع ذلك ذهب هذا الاحتلال والاحتكار الصليبي إلى مزبلة التاريخ..

- ولقد كان السبيل الذي جعل هذا القانون حاكمًا وفاعلًا، دائمًا وأبدًا، هو « **سبيل الجهاد** » لإعلاء الحق وإزهاق الباطل.. ولتحرير القدس الشريف من كل ألوان الاغتصاب والاحتكار..

ولقد عبَّر صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩هـ/ ١١٣٧ - ١١٩٣م) - الذي ارتبط تاريخه وارتبطت بطولاته بكسر شوكة الصليبيين وتحرير القدس الشريف -.. عبَّر عن هذا القانون بكلماته الجامعة، عندما قال - في رسالته إلى الملك الصليبي « ريتشارد قلب الأسد » (١١٥٧ - ١١٩٩م) -:

« القدس إرثنا كما هي إرثكم..

من القدس عرج نبينا إلى السماء..

وفي القدس تجتمع الملائكة..

لا تفكر بأنه يمكن لنا أن نتخلى عنها كأمة مسلمة..

أما بالنسبة إلى الأرض، فإن احتلالكم فيها كان شيئًا عرضيًا، وحدث لأن المسلمين الذين عاشوا في البلاد حينها كانوا ضعفاء..

ولن يمكّنكم اللّه أن تشيدوا حجرًا واحدًا في هذه الأرض طالما استمر الجهاد ».

وذلك هو القانون الحاكم للصراعات التاريخية حول القدس الشريف.. وهو - في ذات الوقت.. نبوءة رسول اللّه ﷺ صاحب الإسراء والمعراج.. والرباط المقدس بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام -.. نبوءته التي قال فيها:

« لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء - (شدة ومحنة) - حتى يأتيهم أمر اللّه وهم كذلك ».

قالوا: يا رسول اللّه، وأين هم؟.

قال: « بيت المقدس وأكناف بيت المقدس »[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد.

وصدق اللّـه العظيم:

﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[النساء: ١٠٤].

* * *

تلك هي قصة القدس الشريف - في التاريخ.. والدين.. والأساطير..، وتلك هي السنن الحاكمة لتحرير القدس من الاغتصاب والاحتكار - بالأمس.. واليوم.. وفي المستقبل القريب - إن شاء اللّـه -[1].

وآخر دعوانا أن الحمد للّـه رب العالمين

* * *
* *
*

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول قضية القدس وفلسطين - انظر كتبنا: (في فقه الصراع على القدس وفلسطين)، و (إسلامية الصراع على القدس وفلسطين)، و (القدس بين اليهودية والإسلام)، و (القدس الشريف: رمز الصراع وبوابة الانتصار)، و (القدس: أمانة عمر في انتظار صلاح الدين)، و (معارك العرب ضد الغزاة)، و (إسرائيل.. هل هي سامية؟).

فهرس المصادر والمراجع

○ القرآن الكريم.

○ كتب السنة النبوية.

○ الكتاب المقدس.

○ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف.

○ فهرس الكتاب المقدس.

أحمد عبد المعطي حجازي:

أول إسرائيل آخر أمريكا، الأهرام في (٢٨ – ٤ – ٢٠٠٤م).

د. جريس هالسل:

النبوءة والسياسة، ترجمة: محمد السماك، طبعة ليبيا (١٩٨٩م).

د. حاتم الطحاوي:

وثيقة نادرة، العربي، الكويت، عدد مارس (٢٠٠٣م).

زالمان شازار – محرر –:

تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ترجمة: د. أحمد محمد هويدي، تقديم ومراجعة: د. محمد خليفة حسن، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (٢٠٠٠م).

د. سيجريد هونكة:

الله ليس كذلك، ترجمة: د. غريب محمد غريب، طبعة القاهرة (١٩٩٥م).

د. عبد الوهاب المسيري:

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، طبعة القاهرة (١٩٩٩م).

د. فؤاد حسنين علي:

التوراة الهيروغليفية، طبعة دار الكتاب العربي، القاهرة.

د. محمد حميد الله – محقق –:

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، طبعة القاهرة (١٩٥٦م).

محمد السماك:

الدين في القرار الأمريكي، طبعة بيروت (٢٠٠٣م).

الأصولية الإنجيلية الصهيونية والموقف الأمريكي، طبعة مالطا (١٩٩١م).

د. محمد عمارة:

في فقه الصراع على القدس وفلسطين، طبعة القاهرة: (٢٠٠٥م).

الفاتيكان والإسلام، طبعة القاهرة (٢٠٠٧م).

محمد فؤاد عبد الباقي:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، طبعة دار الشعب، القاهرة.

مكسيموس مونروند:

تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب، ترجمة: مكسيموس مظلوم، طبعة أورشليم (١٨٦٥م).

يوحنا قلته:

حول رؤية الفاتيكان لقضية القدس، الأهرام في (١٢ - ٥ - ١٩٩٧م).

○ دوريات:

المصري اليوم، أعداد (٣٠ - ٧ - ٢٠٠٩م)، و(١٤ - ١٠ - ٢٠٠٩م).

* * *
* *
*



كشف عن السنن والقوانين التي حكمت الصراعات التي دارت حول هذه المدينة المقدسة التي كانت - وما زالت - رمز الصراعات في الشرق .. وبوابة الانتصارات عبر التاريخ الطويل، كما أبان الفوارق الجوهرية بين العقائد الدينية التي أبت وتأبى احتكار القدس، وبين الأساطير التي لبست لباس الدين وتوسل بها أصحابها احتكار هذه المدينة المقدسة.

كما كشف عن شيوع وعموم قداسة القدس عند أتباع الديانات، وأصالة تاريخها العربي الضارب في أعماق التاريخ، وكشف حقائق تعرُّضها للغزو والاحتلال والاغتصاب والاحتكار مرات عدة في حقب متفاوتة عبر تاريخها الطويل. وأكد على أن العرب المسلمين الذين حرروها من الاغتصاب والقهر الروماني هم وحدهم من أشاعوا قداستها وقدسيتها بين الجميع.



الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٥٠٥٦٦٩١
فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٠٢٠٢)
الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٠٢٠٣)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

